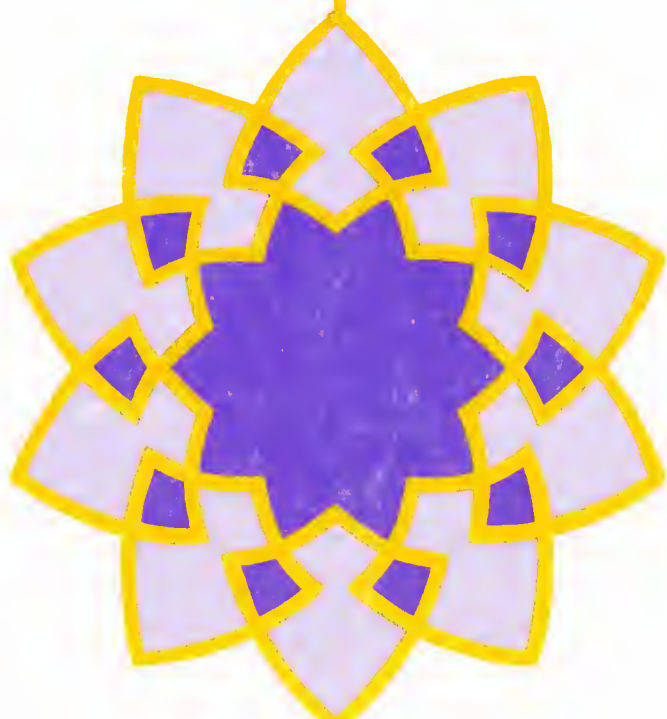


أسرار الصلاة

خاص بالشباب



الأستاذ محسن قراءتي

أسرار الصلاة

خاص بالشباب

تأليف

الأستاذ محسن قراءتي

ترجمة

حسن الحلي



بسم الله الرحمن الرحيم

الصلاة عبادة عظيمة

انَّ حَبَّ الإِلهِ وعبادته والتَّصاغر أمامه والتواضع لعظمته هو ثَمرة معرفته، والمعرفة هي أساس العبادة والعبودية، معرفة الله والإقرار بأنه خالق الكون والإنسان، تُشعر الإنسان بالعبودية لله والطاعة لأوامره، ويتجلى هذا الأمر بأروع صورة في الصلاة، وما فيها من سجود في الحضرة الإلهية ومناجاة ودعاء وحمد وشكر وثناء عليه سبحانه.

لماذا نعبُدُ الله؟

ان سرَّ خلق الإنسان والغاية من إيجادهِ هي عبادة الله وطاعته، هذا ما تقوله الآية المباركة: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١)، وهذه الحكمة الإلهية هي نفسها

الذاريات : ٥٦

أساس بعث الأنبياء (ع): ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾^(١).

إن سعادة الإنسان وعزّته كافية في العبادة، والعبادة هي التجارة التي لا يربح أحد منها غير الإنسان، فالله تعالى هو الغني المطلق، الذي لا تنفعه عبادة العابدين، ولا تضرّه معصية المذنبين، ألا ترى إلى المعلم، حين يُوصي تلاميذه بالدرس والمطالعة، إنّما يقصد في ذلك فائدتهم وصلاحهم، ولا يعود عليه من نشاط المُجدين وفشل الكسالى نفعاً ولا ضرراً؟

علل ودوافع العبادة:

١ - عظمة الله: حينما يتعامل المرء مع شخصية معروفة محترمة، أو عالم من العلماء، تراه يظهر لهما الإحترام والتكريم ويقف أمامهما بتواضع، لأنه يحسُّ بالصغر أمامهما، هذا مع أناس أمثاله فكيف الموقف والحال مع خالق الكون، وكل ما في الكون من عظمة وجلال؟!!

الزمر: ٧

إن إدراك الإنسان لعظمة الله وكبريائه أساس مهم في حصول حالة التعظيم والعبادة والطاعة.

٢ - الإحساس بضرورة الارتباط بالمطلق: العجز والضعف والحاجة هي حال الإنسان وحقيقته، أما الغنى المطلق وملكية كل شيء فهي حقيقة الله عز وجلّ وحده. وفي هذا أثر كبير في دفع الإنسان إلى الطاعة والعبادة.

٣- شكر النعمة: إن نعم الله على الإنسان لا تُعدّ ولا تُحصى، وهي تحيطه وهو جنين في بطن أمه، وتصاحبه طيلة حياته الدنيا، وترحل معه إلى الآخرة (إن كان من أهل النعيم)، يقول تبارك وتعالى: ﴿فليعبدوا ربّ هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾^(١). فمن كان ذا بصيرة لفضل ربّه وخيراته، فلا بد أن يكون شاكراً حامداً له، وخير طريق وأفضل تعبير عن العرفان والشكر هي الطاعة والعبادة لله سبحانه.

٤ - الفطرة: العبادة هي طبع الإنسان وفطرته، وهو مجبول عليها في طبيئته، العبادة حاجة أصيلة في الإنسان لا بد من

إشباعها، لذلك فقد يهتدي إلى الطريق الصحيح والسبيل المستقيم، وهو صراط العبودية لله تعالى، وفي هذا يكون الكمال والمنال وقد ينحرف عن الجادة، ويتجه إلى آلهة باطلة كالأصنام والقمر والشمس والعجل والبقرة والمال والمقام والأزواج والطاغوت وغيرها، فيكون الهلاك والخسران. ومن هنا جاءت بعثة الأنبياء (ع) لتحمل معها معالم الهدى إلى الصراط الحق. يقول الإمام علي (ع) في الخطبة ١٤٧ من نهج البلاغة: (فبعث الله محمداً بالحق ليخرج عباده من عبادة الأوثان إلى عبادته).

إن العبادة لدى الإنسان أمر فطري كَمِلَ الأطفال إلى الطعام، فأنت ترى الطفل يلتهم التراب ويشعر في ذلك بالالتذاذ، لأنه محتاج إلى غذاء، ولأنه لم يُوجه الوجهة الصحيحة. ونفس الشيء يصدق على العبادة، فإن الفطرة الإنسانية المَجْبُولَة على العبادة لا تتوانى عن الإتجاه إلى أي شكل من أشكال العبادات، حتى وإن كانت عبادة منحرفة باطلة، إذا لم تُرشد إلى السبيل السَّوِيّ، ولم تهْدُ إلى الصراط المستقيم.

كيف نعبد الله؟

العبادة التي هي حضور أمام خالق الكون ومالكة، وجلس على الموائد المعنوية التي جعلها الله تعالى لعباده، لا تؤخذ إلاّ منه سبحانه، فكما أن عنوان البيت يؤخذ من صاحبه، وكما أن الضيافة الصحيحة، هي التي يُراعى فيها رغبة الضيف وذوقه، كذلك العبادة - سواء في شكلها وكيفية أدائها، أم في مضمونها ومحتواها - يجب أن تكون وفقاً لما أَراده الله وأمر به، والطريق إلى معرفة ذلك هو علماء الدين، والكتب الدينية.

إنَّ أفضل العبادات، هي تلك التي تتوفر فيها المواصفات التالية:

١ - أن تكون عبادة واعية: في هذا الإطار نقرأ الأحاديث الشريفة الآتية: «ركعتان من عالم خير من سبعين ركعة من جاهل»^(١)، «المتعبّد على غير فقه كحمار الطاحونة يدور ولا يبرح»^(٢)، «من صلى ركعتين يعلم ما يقول فيهما انصرف وليس بينه وبين الله ذنب»^(٣).

(١) سفينة البحار

(٢) المصدر نفسه

(٣) الوافي ٢ : ١٠

وكذا تكون الصلاة معراج الروح، ووسيلة قُربٍ إلى الله.

٢ - أن تكون عبادة حُبّ: عندما تكون العبادة قائمة على حبّ الله، والشوق لمناجاته، فإن هناك أنس وذوق واندفاع ونشاط ورغبة وحماس يحصل في النفس، وعلى العكس، فإن أداء العبادة بكسل وفتور هو مؤشر على عدم الإشتياق للدعاء والنجوى، لذلك نقرأ في الدعاء (... واجعل نشاطي في عبادتك)^(١).

إنّ مثلَ الذين لا يشعرون بحلاوة طعم العبادة، كمثّل المريض الذي لا يتذوق طعم الغذاء مهما لذ وطاب. وفي حال وجدان الحبّ والشوق، فلا حاجة بعدها إلى الحثّ والترغيب، لأنّ هناك اندفاع ذاتي، وميل باطني، وحالة ترقّب وانتظار وعَدّ للوقت لحظةً لحظةً شوقاً للقاء المحبوب.

إن سماع صوت (الأذان) عند أهل الحب، هو إعلان لقرب ساعة اللقاء، وقد كان رسول الله (ص) يُنادي بلالاً حين وقت الصلاة قائلاً: (أرحنا يا بلال).

٣ - أن تكون عبادة خالصة: آفة العبادة الرّياء، أمّا

(١) الدعاء السابع من المناجاة الخمس عشر

الإخلاص فهو أثنى شيء للعبادة وللصلاة. والإخلاص ليس أمراً سهلاً، فمن أجل طرد الشيطان ووساوسه عن النفس، لا بد من بذل جهد كبير، وتحمل ألم شديد، ولا بد من التسلح بإرادة قوية، وهمة عالية، إذ لا قيمة للعبادة عند الله، ما لم تكن نقيّة خالصة، ولا وزن عند الله للسجود والقراءة والركوع والوقوف في جميع صلاة الجماعة، إلا بالإخلاص، ولا بد من تطهير الصلاة والعبادة من صبغ الرياء، وتزيينها بالصبغة الإلهية «صبغة الله» للقبول والوصول إلى الله، ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾^(١).

٤ - أن تكون عبادة خاشعة: الخشوع حالة قلبية، وهو ثمرة التوجه والمعرفة الكاملة لمقام وأهمية العبودية في المحضر الربوبي، فحينما يتعرف الإنسان على نقاط ضعفه ومواطن عجزه ويعرف عظمة ربه وكماله المطلق، يقف آئذ بين يدي الله بقلب خاشع متضرع متجه إلى معبوده وربه يناجيه ويدعوه بتلك الصورة التي يصفها القرآن: ﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾^(٢). وجاء في الحديث الشريف: «اعبد الله كأنك تراه»^(٣)، ونقرأ في حديث آخر: «فصلّها لوقتها صلاة مودّع»^(٤).

(١) البينة : ٥

(٢) المؤمنون : ٢

(٣) مصباح الشريعة : ٨

(٤) بحار الأنوار : جزء ٨٤ : ص ٢٣٣

بمعنى أن يستشعر المصليّ، وهو يؤدي صلاته، وكأنها آخر فرصة من عمره. وفي ذلك حثّ على الأداء لها بأحسن وجه ممكن.

٥ - العبادة الخفية: قال رسول الله (ص): (أعظم العبادة أجراً أخفاها)^(١).

لماذا هذا التأكيد على إخفاء العبادة، وعدم المجاهرة بها؟

الجواب: لأن العبادات، وخاصة المستحبة منها، والتي تؤدى على مرأى الناس ومسامعهم تكون الأرضية فيها مهياة لحصول حالة الرياء، ومتى حصل الرياء تضاعف الأجر والثواب، هذا في الموارد التي ليس فيها أمر وإلزام أو تأكيد على الأداء علانية، كما هي صلاة الجماعة في المسجد التي تفوق بثوابها وفضيلتها الصلاة في البيت فرادى.

إنّ الشيطان - وهو العدو الأول للإنسان - قد أقسم على إغواء الإنسان، وإفساد عبادته، وإبطال أعماله العبادية، من خلال طرق كثيرة، منها طريق الرياء وإفساد النية، ومنها العجب واستكثار العبادة، ومنها إيقاع الإنسان بمستنقع

(١) بحار الانوار : ج ٧٠ ص ٢٥١

الذنب، فيحبط العمل العبادي، وتذهب الجهود هدرًا، كمن يزرع زرعًا، فيأتي وقت حصاده بعد عناء وتعب كثير، ولكنه بدلاً من الحصاد، يوقدُ فيه شرارة نار تحرقه وتجعله رمادًا، وكمثل ماء زلال في كأس نظيف، لوثته قطعة تراب سقطت، أو حشرة هوت فيه. وهكذا يعمل الرياء والذنب حينما يصيب العبادة، إذ تحترق الصلاة بالرياء، والعبادة بالعجب، والصدقة بالمتة، والحسنات بالغيبة، ولا يبقى منها أثر.

شروط التكليف

(التكليف) هو الفارق المهم بين الإنسان وسائر الكائنات الحية، وهذا من مفاخر الإنسان أن يتشرف بنزول أوامر الله عليه، وأن يتعهد بأدائها وإنجازها، كما شاء ربه عز وجل.

كان أحد العلماء يقيم في الذكرى السنوية لبلوغه سنّ التكليف احتفالاً خاصاً، وكان يقول بأنني قد حظيت في مثل هذا اليوم بأن أكون أهلاً لقبول المسؤولية، وأداء الواجبات

الإلهية.

وحقيقةً إن يوم البلوغ، هو يوم مبارك، وحرّي أن يقام له حفل تكريم.

والآن مع شرح مختصر لشروط التكليف:

١ - البلوغ:

إكمال خمسة عشر سنة، والدخول في السادسة عشرة، هو سن البلوغ عند الذكور، أما عند الإناث فهو إكمال تسعة سنين، والدخول في العاشرة. هذا بشكل عام. وهناك مَنْ يبلغ التكليف قبل هذا العمر.

ومع البلوغ التكليفي تترتب على الإنسان مسؤوليات شرعية، بعضها واجبات، وبعضها محرمات، يجب معرفتها ومراعاتها. وهناك أنواع أخرى من البلوغ هي:

البلوغ السياسي: وهو عبارة عن إدراك ووعي المسائل الاجتماعية والسياسية، ومعرفة المجتمع والعلاقات الدولية،

وأمثال ذلك.

البلوغ الإقتصادي: وهو بلوغ مُستوى من النضج والرشد، بحيث تكون له المقدرة على التصرف في أمواله بشكل عقلائي.

بلوغ الزواج: وهو المرحلة التي يكون فيها الذكر والأنثى – بغض النظر عن السن – قادرين على إيجاز وأداء مسؤولية الزواج، وإنشاء الأسرة، وإدارة أمور حياتهما الزوجية.

ورغم أن البلوغ هو شرط التكليف، إلا أن الفتية والفتيات مكلفون أيضاً – وقبل البلوغ – بمزاولة الأعمال العبادية، وترك المحرمات والذنوب، وذلك استعداداً واستقبالاً لمرحلة التكليف، وكذلك الأولياء مسؤولون عن تربية أبنائهم، وتوعيدهم على الصلاة والعبادة واجتناب المعاصي.

٢ – الإستطاعة:

الاستطاعة من شروط التكليف، ومن عدالة الله أن لا يأمر الإنسان بأكثر من طاقته وقدرته، إذ يسقط التكليف عند عجز

المكلف عن أداء العمل، ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾^(١).

٣ - الإختيار:

في ظروف الإضطراب لا يجب على الإنسان أداء التكليف، ولو ترك في مثل هذا الحال عملاً عبادياً مُعيناً، فلا يعتبر ذلك ذنباً ولا إثماً. مثال ذلك عدم الذهاب إلى الحج بسبب قيام الحاكم الطاغوتي بوضع العراقيل أمام الحجاج، وكإجبار الإنسان بواسطة القوة على إرتكاب الذنب، على شرط أن لا يكون ذنباً بمستوى القتل وأمثاله.

٤ - العقل:

العقل هو أداة تفوق الإنسان على الحيوان، والعقل هو شرط التكليف، ووعاء المعرفة والعمل، وبواسطته تحصل عملية العقاب والثواب للإنسان، إذا لا يوجد تكليف، في ذمة المجنون والسفيه، ولأهمية هذه الجوهرية الثمينة في وجود

(١) البقرة: ٢٨٦

الإنسان وفي حياته، فقد حَرَّمَ الله كل ما يضرّ بالعقل ونشاطه،
كالشرب المُسكر، وأمرَ بما يُوجب كماله وازدهاره كطلب
العلم، والشورى، والسفر، والاستفادة من التجارب،
وغيرها.

العبادة في الميزان

ذكرنا معنى أن العبادة، هي العبودية والطاعة لله تعالى، وأداء التكاليف الشرعية، والامتثال لمشيئة الله وإرادته، والتسليم لأحكامه وأوامره ونواهيه، هذه العبادة وما تتضمنه من أعمال لها مراحل ومستويات مختلفة باختلاف النية، وأسلوب الأداء، ومواصفات الأفراد . وهناك على ضوء ذلك مستوى من العبادة يصل إلى درجة الصحة في مراعاة شروط وقواعد العبادة، ومرة يصل إلى درجة القبول، أي يكون لائقاً ومقبولاً عند الله، وأحياناً يحصل على أعلى المراحل، وهي مرحلة الكمال، وهي الصورة النموذجية المطلوبة.

إذن للعبادات شروط، هي:

شروط صحة العبادات، شروط قبول العبادات، شروط كمال العبادات، وهذا توضيح لكل مرحلة:

شروط صحة العبادات:

صحة العبادة ترتبط بأمرين: النية الصحيحة، والأداء الصحيح، بمعنى أن تكون الغاية منها قصد القربة ورضى الله

تعالى، وليس رضى الناس والمرءاة، وأن يكون أداؤها مطابقاً
للأمر الإلهي حتى في الجزئيات.

إن من علامات خلوص العمل ونقاوة النية وصفائها، هي
أن لا ينتظر المرء شكر الناس وثناءهم عليه، بل أن يتعلق قلبه
ورجاؤه بالله فقط، وفي هذا يقول الإمام الصادق (ع):
«والعمل الخالص الذي لا تريد أن يحمذك عليه أحد إلا
الله»^(١)، أما فيما يتعلق بهيئة وشكل العبادة، فهو أمر ينبغي -
ويجب - أن يتأطر بالإطار المرسوم في الشريعة، وليس على
أساس المزاج والذوق الشخصي والجمعي.

فكيفية الصلاة - مثلاً - متى تكون إخفاتاً، ومتى تكون
جهرًا، في أي الأحوال تُقرأ جلوساً، وفي أيها وقوفاً، أين تكون
أربع ركعات، وأين تكون ركعتين، وأمثال ذلك، يجب أن
تخضع جميعها للقواعد والمقررات الشرعية. «لا قول ولا عمل
ولا نية إلا بإصابة السنة»^(٢).

ونضرب لذلك مثلاً، نقول: لو قيل لنا: إن في هذه البقعة
كنز يقع في عمق ١٠٠ قدم في باطن الأرض، فإذا حفرنا

(١) بحار الانوار : ج ٧٠ ص ٢٣٠

(٢) قصار الجمل : جزء ٢ ص ٧٣

الأرض مسافة أقل من المقدار المحدد، فلا يمكن العثور عليه، لأننا لم نقصد النقطة المطلوبة، فتذهب جهودنا وأتعبنا بلا طائل، ونفس الأمر ينطبق على رقم التلفون، فلو اتصلنا هاتفياً بدائرة حكومية أو منزل شخص، وحصل أثناء الإتصال خطأ، بإضافة رقم واحد أو نقصان رقم، فإن التماس المطلوب سوف لا يحصل، وهكذا بالنسبة للمفتاح الذي يزيد أو ينقص سناً واحداً عن المفتاح الأصلي، يعجز عن فتح قفل باب الدار. هذه الأمثلة الحسية، تصدقُ أيضاً على المسائل العقلية، إذ لا قيمة ولا فائدة تُرتجى من وراء العبادات التي يقوم بها الأفراد المنحرفون، الذين يُغيرون في أشكال العبادات وصورتها تغييرات منشؤها الروح التمردية أو النزعة (التمدنية)، أو الحالة التنسكية، أو الجهل، وغيرها، في حين أن (التعبّد) معناه العمل بتعاليم الدين كما هي، بلا أية زيادة أو نقصان، وهذا هو المفهوم الواقعي الصحيح للعبودية والطاعة.

شروط قبول العبادة:

المقصود من هذه الشروط، هي تلك القواعد التي تؤدي

مُراعاتها إلى القرب من الله، ونيل رضاه وأجره. فمجرد كون الصلاة صحيحة لا يؤثر في تنمية وتزكية الروح، كالدواء الذي ليس فيه شفاء، وكالبضاعة التي ليس لها سوق. إن العبادات قد لا تنفع الإنسان أكثر من أن تنقذه من العذاب والجزاء الإلهي، في حين أنها في مرحلة أخرى، وفي مستوى أرفع، تحقق ذلك الأمر، مُضافاً إليه قرب العبد من ربه ومحبيته عند خالقه وقبول عمله لديه سبحانه.

أما الآيات والروايات الواردة في هذا المضمار، فهي كثيرة، إليكم بعضها:

١ - في البُعد العقائدي (الإيمان): نقرأ هنا الآيتين الكريمتين: ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنُحيينه حياة طيبة﴾^(١)، ﴿ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله﴾^(٢) إذ لا أثر طيب، ولا قبول عمل، ولا عبادة يُرتجى منها ثواب، إلا في ظلّ الإيمان بالله، الذي هو شرط في القبول والرضى عند الله.

٢ - في البُعد السياسي (الولاية): عن الإمام الباقر (ع)

(١) النمل : ٩٧

(٢) المائدة : ٥

«من دان الله بعبادة يجهد فيها نفسه، ولا إمام له من الله، فسعيه غير مقبول»^(١) وفي حديث آخر: «من لم يتوَلَّنا لم يرفع الله له عملاً»^(٢).

إن العمل العبادي لا يأخذ مجراه ومساره الصحيح إلا في ظل القيادة الإلهية، فهي التي تُبين معالم الطريق، فيمضي العمل العبادي على الصراط المستقيم، ليعطى ثماره وآثاره البناءة في إطار الفرد والمجتمع.

وأما إن جرت العبادة وفق التفسير الشخصي وبمعزل عن الولاية والقيادة، فإنها ستكون إمّا عبادة ممحوقة مُحْبُطَة، أو منحرفة في الاتجاه الذي يخدم مصالح أعداء الدين.

العمل العبادي في ظل الولاية مثله مثل قافلة يقودها سائق أمين عارف بالطريق، ما تلبث إلا وتصل إلى مقصدها، على عكس ركاب حافلة يقودها رجل يفتقد المهارة أو العقل، أو أنه يسير في الاتجاه المعاكس، فهم لا يصلون إلى غايتهم، بل ولا يزيدهم المسير إلا بُعْداً، وقد لا يصلون إلا وهم موتى في الأكفان.

(٣) الوسائل : ج ١ ص ٩٠

(٤) الكافي : ج ١ ص ٤٣٠

وها أنت ترى الآن حال البلاد الإسلامية، التي لديها أرقى القوانين والنظم، وهو الإسلام، تعيش حالة الدلّ والفرقة والضعف، لا شيء إلاّ لأنها خضعت لـولاية الجور والطاغوت، وابتعدت عن ولاية وطاعة القادة المعصومين (ع) ونوابهم الفقهاء.

٣ - في البعد الأخلاقي في (التقوى): ﴿واتلُ عليهم نبأ ابني آدَمَ بالحق اذ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾^(١). التقوى شرط قبول الأعمال. ولا قيمة لأموال تنفق وهي مسروقة، ولا صلاة تؤدى وصاحبها يأكل حق الناس، ولا جهاد صاحبه تارك للصلاة، ولا للصلاة لا تنهي صاحبها عن ظلم الناس، ولا لزيارة ولا لنافلة مع البهتان والغيبة والنظر بسوء وريبة إلى أعراض المسلمين، فكل تلك الأعمال العبادية لا وزن لها ولا قيمة عند الله، لأنها غير معجونة بالتقوى والخوف من الله.

٤ - في البعد الإقتصادي (مساعدة المحتاجين): الفقراء هم عباد الله، ولا قيمة لعبادة لا تحمل معها همّ الضعفاء والمحرومين، والاهتمام بأحوالهم. ومن هنا جاءت (الصلاة)

(١) المائدة : ٢٧

و(الزكاة) مترادفتان في كثير من الآيات والروايات، فالصلاة هي ارتباط العبد مع ربه، والزكاة هي العلاقة مع خلق الله. وقد رُوي عن الإمام الرضا (ع) قوله: «من صَلَّى ولم يُزَكَّ لم تُقبل صلاته»^(١)، ذلك لأن عدم إعطاء الآخرين حقوقهم التي فرض الله لهم، تجعل أموال الإنسان مخلوطة بالحرام، فتخرج الحياة الإنسانية عن طريقها الإلهي المطلوب.

٥ - في البعد الإجتماعي (السلوك الحسن): أساس المجتمع الإسلامي الاخوة والصّفاء والعلاقات الصّميّة، وكل أمر وفعل يُوهن هذه العلاقات والروابط، ويمزّق حبل الوحدة والمودة، ويهتك حرمة النّاس، فهو عمل قبيح لا يضر بالآخرين فقط، بل يلحق بصاحبه ضرراً بالغاً - أيضاً - ويجعل قبول عبادته على حافة الخطر والرّد. ومن مفردات هذه القبائح هي الغيبة والإفراء، والتفرقة والنميمة، وسوء الخلق وسوء السلوك، وإيذاء النّاس، وقطع صلة الرّحم، وعلى خلافها تكون صلة الرّحم، وحسن الخلق، والمودة مع النّاس، وصفاء النية وسلامة السريرة، عوامل قربٍ من الله، وأسباباً لرضاه تعالى.

(١) بحار الانوار: ج ٩٦، ص ١٢

وفي هذا الصدد نقرأ الروايات الآتية: عن الرسول الأكرم (ص)، قال: «من مشى إلى ذي قرابة بنفسه وماله ليصل رحمه أعطاه الله عز وجل أجر مئة شهيد»^(١). وعنه (ص): «يا أبا ذرٍّ إياك ومجران أخيك، فإن العمل لا يتقبل مع الهجران»^(٢). وعن الإمام الصادق (ع): «إن سوء الخلق يُفسد العمل كما يُفسد الخلّ العسل»^(٣).

٦ - في البعد العائلي (رعاية الحقوق): بين الرجل والمرأة حقوق متبادلة، فالزوج الذي يؤذي زوجته، والمرأة التي تؤذي زوجها، لا يصلحان لمقام عبودية الله وطاعته، وقد جاء في رواية عن رسول الله (ص) مضمونها أن الله لا يقبل لهما عملاً صالحاً^(٤). وفي رواية عن الإمام الصادق (ع) في شأن الوالدين، وما لهما من حق على أولادهما، وما لهما من مكانة عند الله عز وجل، قال (ع): «من نظر إلى أبويه نظر مامت، وهما ظالمان له، لم يقبل الله له صلاة»^(٥).

نعم إن عبادة الله وطاعته ليست مجرد أداء طقوس، بل إن الأنموذج المطلوب من العبادات، هو ذلك الذي يؤدي فيه

(١) مكارم الاخلاق : ٤٣١

(٢) مكارم الاخلاق : ٥٥٤

(٣) احوال الكافي : ج ٢ ص ٣٢١

(٤) الوسائل : ج ١٤ ص ١١٦

(٥) اصول الكافي : ج ٢ ص ٣٤٩

حقّ الأسرة، وتراعي فيه حقوق الوالدين. إن الصلاة معراج الروح إلى ربّها، وسلّم السير المعنوي إلى الله، وهذا المعراج وذلك السير يحتاجان إلى قاعدة قوية للإنطلاق. والعلاقات الصحيحة، والروابط الوثيقة بين الأسرة وأعضائها، هي الأساس المحكم، والقاعدة الراسخة التي يُقام عليها الهيكل الأمثل للعبادات والطاعات والقربات إلى الله تبارك وتعالى.

علامة قبول الصلاة:

إن وجود هذه الشروط الكثيرة كأمر يجب مراعاتها من أجل قبول الصلاة والعبادة يفرض علينا القيام بعملية مراقبة مستمرة لأنفسنا، لئلا تذهب أتعابنا وجهودنا أدراج الرياح، فقد صار واضحاً أن مجرد أداء التكليف وإنجاز الواجب ليس أمراً كافياً، ولا بد من مراعاة كل الجوانب الأخرى المحيطة بالعمل، والتي تشكل جزءاً من البناء الأصلي للعبادة. ولعل هذا هو ما يشير إليه أمير المؤمنين (ع) في قوله: «كونوا على قبول العمل أشدّ عناية منكم على العمل»^(١). أمّا ما هي

(١) بحار الانوار : ج ٧١ ص ١٧٣

الدلائل على قبول العبادة، وما هي مؤشرات ذلك؟ فهذا ما يجب عنه الإمام الصادق (ع): «من أحبَّ أن يعلم أُقبلت صلاته، أم لم تقبل، فلينظر هل منعتة صلاته عن الفحشاء والمنكر، بقدر ما منعتة قُبلت منه»^(١).

شروط كمال العبادة:

شروط كمال العبادة هي الأمور التي يُعطي وجودها للعمل العبادي قيمة رفيعة، وكمال عظيم. وهذه الشروط، هي:

١ - المصاعب: يقول الإمام علي (ع): «أفضل الأعمال ما أكرهت نفسك عليه»^(٢)، في العبادات مصاعب ومتاعب، في العبادات صراع مع أهواء النفس ورغباتها نحو الترف والميوعة، في العبادات يوجد من الأعمال ما هو صعب، وما هو أصعب، فذلك الذي يقف مع رسول الله في الظروف العصيبة يؤازره وينصره ويدافع عنه، وذلك الذي يقطع أياماً وليالي مشياً على الأقدام لحج بيت الله الحرام. وذلك الذي يجاهد بنفسه وأمواله في سبيل الله، هو صاحب المنزلة والمكانة

(١) بحار الأنوار: ج ٨٢ ص ١٩٨

(٢) قصار الجمل: ج ٢ ص ٧٤

المُقرَّبَة والمكرَّمة عند الله. فالعبادة الأصعب والأشقّ، هي الأعظم ثواباً وأجراً.

٢ - النظم: العبادة الأفضل، هي العبادة المؤدّاة على ضوء برنامج مستمر، ومنهاج منتظم ومبرمج.

وقد حثّت الروايات الشريفة على تقسيم الوقت وتنظيم العمل بالشكل الذي لا يكون في الجانب العبادي إفراط ولا تفريط.

٣ - مراعاة الأهمية: قد يتزاحم في وقت واحد عملان صالحان لا يمكن إنجازهما معاً، فما هو الحل؟

يقول الإسلام: إن الحل هو التضحية بالمهم من أجل الأهم، فيتقدم الأهم ويتأخر المهم، فحين يكون الأقربون في عُسر وحاجة، فهل من الصحيح التصدّق على الآخرين الأبعدين؟ وعندما تضرّ المستحبات بالواجبات وتؤثّر عليها فمن الأولى تركها والإنشغال بالثانية.

فالمستحب لا يُبرر ولا يعوّض ولا يسدّ مكان الفرائض الواجبة، في أي حال من الأحوال.

وهكذا لو توفرت فرصة الإتيان بأحد عمليْن، عمل ذي نفع عام، وآخر محدود، فإن الحكم الشرعي وحتى الحكم العقلي يأمران بتقديم الأول على الثاني. يقول الإمام علي (ع): «لا قربة بالنوافل إذا أضرت بالفرائض»^(١).

٤ - البركة: البركة في العمل العبادي، هي في بقاء أجره وثوابه، ومثل هكذا عبادة خالدة الأثر والأجر، هي الأكمل والأفضل من غيرها.

٥ - المسابقة في الخير: الزمن له دور مهم في قيمة العمل الصالح، والسبق الزمني يحتل ميزة خاصة في موقع العبادة ووزنها وثمرتها. فالإيمان بالإسلام في عصر العسرة والشدة والمحنة، هو أشرف بكثير من الإسلام في زمن الانتصار والغلبة، وكذا الأمر في أداء الصلاة أول الوقت، وأداء كل عمل صالح في أقرب فرصة متاحة. إن ما ورد في كتاب الله، وكلام المعصومين (ع) من تأكيد كثير على المسابقة والمسارة في الأعمال الصالحة، هو إشارة ودليل على قيمة وأهمية العبادة والعمل الذي تجري فيه المسابقة.

(١) الحياة: ج ١ ص ٣١٨

٦ - الدّوام والنشاط: العبادة الأكثر كمالاً، هي التي يؤديها العبد بنشاط واندفاع واستمرار، وليس كما هو شأن المنافقين، الذين إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى، كما يصفهم القرآن. ولا عبادة المذبذبين والمُشكّكين من مرضى القلوب، التي تفتقد إلى العزم والمواصلة والإخلاص.

إن العمل القليل المستمر خير من العمل الكثير المنقطع.
وفي القرآن وصف جميل لتسييح الملائكة: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾^(١).

٧ - البصيرة واليقين: إن وجود العمق الفكري واليقين القلبي والوعى العقلي في العمل العبادي المنجز يُعطيه فضلاً وعُلُوّاً على العمل العبادة السطحي. وهذا ما نقرؤه في الحديث الشريف التالي: «إنّ العمل الدائم القليل على اليقين، أفضل عند الله من العمل الكثير على غير يقين»^(٢).

(١) الانبياء: ٢٠

(٢) أصول الكافي: ج ١ ص ٥٧

معالم الصلاة في مرآة الوحي

إلى الآن كان حديثنا يدور حول العبادة بمعناها العام والتي تتضمن الصوم، والصلاة، والحج، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وطلب الرزق الحلال، والجهد، ومساعدة الناس، وطلب العلم، ومراسم العزاء على شهداء كربلاء، والإحسان بالوالدين، والعطف على اليتيم، والزكاة والخمس وغير ذلك، والتي تمثل كل واحدة منها شكلاً ولوناً من ألوان العبادة، مع اشتراط النية الخالصة، ومع الإعتراف بأهميتها جميعاً إلا أن الصلاة تحتل من بينها الموقع الممتاز، لأنها المشهد العبادي الأكثر بروزاً ووضوحاً، إذ تتجلى فيها العبودية والطاعة والخضوع أمام الله بأجلى وأروع الصور.

وقد تضمنت آيات القرآن وروايات المعصومين (ع) جوانب كثيرة من الصلاة: أوصاف الصلاة، فلسفتها وحكمتها، آثارها وفوائدها، شروطها وآدابها، مكانها وزمانها. لا يتسع المجال لها الآن بيد أننا سنحاول على ضوء القرآن الكريم والحديث الشريف بيان قطرة من بحر معارف الصلاة.

الصلاة هي العبادة الأولى في مقام الأهمية، وهي وصية الأنبياء (ع) لقومهم وللناس، فهذا لقمان يوصي ابنه بالصلاة ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾^(١)، وذلك عيسى بن مريم (ع) يقول وهو في المهد: ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾^(٢)، وهذا الرسول الأكرم (ص) يقول عن الصلاة «قُرَّة عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»^(٣)، الصلاة هي ميثاق بين الله وعباده، (الصلاة وجه دينكم)^(٤)، و(الصلاة تنزيهاً عن الكبر)^(٥)، الصلاة عمود الدين، ومفتاح الجنة، وبالصلاة يوزن الناس ويُعرفون، الصلاة تغسل الذنوب، وتُطهِّر القلب والنفس من آثار المعاصي.

إن الوقوف خمس مرات في اليوم في المحضر الربوبي ضمن مراعاة للشروط والآداب، مع ذكر وشكر الله على أنعمه، وعرض الحاجات بين يديه، والتضرع والخشوع والخضوع إليه، هي عملية شبيهة بالإغتسال والنظافة اليومية في مياه نهر جار.

(١) لقمان: ١٧

(٢) مريم: ٣١

(٣) بحار الانوار: ج ٧٧ ص ٧٧

(٤) كنز العمال: ج ٧ ص ٢٧٩

(٥) فروع الكافي: ج ١ ص ٢٧٠

الصلاة هي أول ما يُسأل عنه الإنسان يوم القيامة، فإن
رُدَّت رُدَّ ما سواها من الأعمال، وإن قُبِلت قُبِل ما سواها.

الصلاة هي العبادة الوحيدة التي لا يسقط تكليفها في أي
حال كان الإنسان، في مرض أو غرق أو حرب.

الصلاة هي مظهر عبودية الإنسان لخالقه وربّه وإلهه،
ورفض الإنقياد للظالمين والطواغيت.

الصلاة إحياء لدين إبراهيم (ع) ومحمد (ص).

الصلاة هي العبادة التي لم يغفل عنها الإمام الحسين (ع)
وهو في يوم عاشوراء.

الصلاة هي العبادة التي يعشقها عباد الله، وينأى عنها
أعداء الله، ﴿وإنّها لكبيرة إلا على الخاشعين﴾^(١).

الصلاة سلاح ضارب، يفتك بالشیطان وأوهامه وأحلامه.

الصلاة تزامن وتضامن مع كل الكون في عبادة الله، إذ يقف
الكون وما فيه عابداً لله وساجداً ومُسَبِّحاً له.

وفي موقف الإمام علي (ع) وهو في ميدان حرب صفّين،

(١) البقرة: ٤٥

وموقف الإمام الحسين (ع) وهو في ميدان الطف، وقيامهما بأداء الصلاة أثناء الحرب، فيه من الدلالة والإشارة البالغة على أهمية الصلاة وقيمتها ما يغني عن البيان. وفي زيارة الإمام سيد الشهداء نقرأ هذه الفقرة: (أشهد أنك قد أقيمت الصلاة). إن القلب وهو يعيش ذكر الله، وهو يستغيث بالله في حالات القلق والشدة والمشكلات، يَسْبَحُ في بحر من الطمأنينة والسكينة والغلبة على عقد الحياة ومصاعبها، لهذا نقرأ في القرآن الكريم هذا الأمر الإلهي: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾^(١). وهذا الإمام الصادق (ع) يجمع أهله وعياله وهو في اللحظات الأخيرة من عمره الديني الشريف مُودِّعاً إياهم الوداع الأخير ومُوصيهم بهذه الوصية: «إِنَّ شَفَاعَتَنَا لَا تَنَالُ مُسْتَخَفًّا بِالصَّلَاةِ»^(٢).

إن ترك الصلاة عمداً هو الحد الفاصل بين الإسلام والكفر، إذ لا قيمة ولا وزن لمن يزعم أنه مُسلم، وهو قاطع علاقته وارتباطه مع الله. وقد ورد عن الرسول (ص) قوله: «من ترك الصلاة مُتعمداً فقد كفر»^(٣)، وعن أمير المؤمنين (ع): «من ضَيَّع الصلاة فهو لغيرها أَضْيَعُ»^(٤).

(١) البقرة : ٤٥

(٢) بحار الأنوار : ج ٨٢ ص ٢٣٦

(٣) المحجة البيضاء : ج ١ ص ٣٠١

(٤) مستدرک الوسائل : ج ٣ ص ٣٤

الصلاة هي ميدان قطع الصلّة مع كل شيء سوى الله، قال رسول الله (ص): «أيما عبد التفت في صلاته، قال الله: يا عبدي إلى من تقصد وتطلب، أرباباً غيري تريد، ورقياً سواي تطلب، أجواداً خلالي تبغي، وأنا أكرم الأكرمين، وأجود الأجودين، وأفضل المعطين؟!»^(١).

الصلاة شكر النعمة:

من طبع الإنسان وفطرته الميل والحب لمن أحسن إليه، فالنعمة والإحسان تؤديان إلى الثناء والشكر، الشكر بالقول وبالعمل. ولما كانت نعمُ الله تغمر الناس، وتحيط بهم بشكل يصعب حصرها وحسابها، فلا بد إذن من استشعار وإظهار الشكر والحمد لوهاب النعم على ألطافه وفضله وخيراته، وهذا ما يمكن للإنسان التعبير عنه بالصلاة.

الصلاة هي أداة من أدوات شكر الله على مواهبه المادية والمعنوية، من عقل وإدراك، وثمر ونبات، ومطر وشجر، وسمك وطيور، وشمس وضياء، وليل وسُبّات، إلى نعم

(١) مستدرک الوسائل : ج ١ ص ١٧٣

أرقى، نعمة الدين والهداية والولاية والضمير، كل ذلك من أجل سعادة الإنسان وكماله.

وهبنا طبيعة مُسَخَّرَة، وقوى نافعة، وجوارح متناسقة، كل ذلك وسيلة لهدف عظيم، هو معرفة الله تعالى.

خلق الله الكون وفق نظام وحساب، فهذا الماء قد جعله زُلاًلاً عذباً، ولو جعله مالحاً أجاباً لأنعدم أثره في الحياة والارواء، وهذه جاذبية الأرض، ونور الشمس، والقابلية على النطق، والمقدرة على البصر والرؤية، وآلاف النعم الأخرى التي تملأ الكون، قد وضعت في مواضعها بمنتهى الحكمة، وهي آيات إلهية تدعو الإنسان إلى معرفة عظمة الخالق وشكره على منّه وإحسانه.

الصلاة من أجل مظاهر الشكر، الشكر الذي يثمر بدوره خيراً كثيراً، ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه، شكر الإنسان لربه نفع للإنسان نفسه، إذ أن الله غني عن العالمين، لا يزيده شكر الشاكرين شيئاً، ولا ينقصه كُفر الكافرين شيئاً، كما لو شكر الطالب أستاذه.

إن أولئك الذين يعيشون عمراً طويلاً على الموائد المادية
والمعنوية التي جعلها الله في هذه الحياة ولا يكلفون انفسهم
بالسجود لله شكراً وحمداً على مواهبه وخيراته، هم الغافلون
حقاً.

آداب الصلاة

من أراد أن يكون وقوفه وحضوره أمام الله حضور العابد الشاكر العارف، فعليه أن يهيئ لذلك الموقف قلباً طاهراً، ونية خالصة، وحياة صالحة، وأخلاقاً حسنة، وبصيرة ثاقبة، ولساناً نظيفاً من الذنب، ونفساً لم تلوثها المعصية، وحضوراً قلبياً.

يقول الإمام الصادق (ع): «إذا استقبلت الصلاة فأيس من الدنيا وما فيها، والخلق وما هم فيه، واستفرغ قلبك من كل شاغل يشغلك عن الله تعالى، وعاین بسرک عظمة الله، واذكر وقوفك بين يديه يوم تلبو كل نفس ما أسلفت»^(١)، هذه الآداب الظاهرية والباطنية في الصلاة، مُضافاً لها توفر الشروط التي وردت في صحة العبادات وقبولها وكما لها، تُعطي للصلاة لياقة القبول والعروج إلى السماء.

وفي آداب الصلاة هناك ثلاثة أقسام: مقدمات الصلاة، ملازمات الصلاة، تعقيبات الصلاة.

فالمقدمات هي ما يجب مراعاته قبل شروع الصلاة، والملازمات، هي ما يجري أثناء الصلاة، وأما التعقيبات، فهي تلك التي تأتي بعد الصلاة.

(١) المحجة البيضاء: ج ١ ص ٣٨٢

مقدمات الصّلاة:

١ - الطهارة: يقول الإمام الباقر (ع): «لا صلاة إلّا بطهور»^(١)، فالوضوء مقدمة الصلاة، وهو أمر واجب على المصليّ قبل شروعه بالصلاة. الوضوء من الإيثار، الوضوء نور وصفاء باطني، الوضوء يمنح الإنسان نشاطاً، ويدفع عنه الكسل والفتور. الوضوء نظافة للجسم والنفس، الوضوء أرضية الصلاة، والمُهد لها، يقول الفيض الكاشاني: إنّ النهوض من الحياة المادية دفعةً واحدة، والسّفر إلى الحياة المعنوية، أمر صعب يحتاج إلى تمهيد، والوضوء تهيئة للإنسان لذلك السفر.

الوضوء كفّارة للذنوب الصّغيرة، ويستحب للإنسان أن يكون على وضوء دائم، حتّى حين النّوم. ولا يجوز مسّ القرآن، واسم الله والنبي والأئمة، إلّا بوضوء، لأن الطّهارة بمثابة الإستئذان للدخول على عتبة المحضر الإلهي.

أما مراتب الطهارة ودرجاتها، فهناك ثلاثة مستويات هي: طهارة الظاهر من وجود النجاسات المادية، طهارة الجوارح

(١) المحجة البيضاء: ج ١ ص ٣٨٢

وأعضاء البدن من الذنوب والمنكرات، وطهارة الروح من
المفاسد والرذائل الأخلاقية^(١).

الغسل والتيمم: قد لا تتم الطهارة ولا تصحّ إلا بالغسل
كمقدمة للصلاة، كما هو في حالات الجنابة، وقد يكون التيمم
بالأرض وتراها هو تكليف المصلي، كما لو أنعدم وجود الماء،
أو أن هناك ضرراً باستخدامه، أو في حالة ضيق الوقت، أو في
ظرف لا يوجد لدى الإنسان من الماء إلا ما يكفيهِ للشرب
وحفظ النفس، وغير ذلك من الأسباب. ومن أراد التوسع
أكثر فليراجع الرسائل العملية.

٢ - لباس المصلي ومكانه: إن ستر البدن عند الصلاة أمر
واجب ضمن الحد المقرر شرعاً، وهو العورة بالنسبة للرجال،
وتمام البدن ما عدا الوجه واليدين والقدمين إلى المفصل فيما
يخص النساء، والأفضل للرجال ستر منطقة البدن من السرة
إلى الركبتين.

أما اللباس، فيجب أن يكون طاهراً ومباحاً، أي غير
مغصوب أو مسروق. والأفضل ارتداء الزي الأبيض، ولبس

(١) المحجة البيضاء: ج ١ ص ٢٨١

خاتم من عقيق وعدم ارتداء اللباس الأسود والضيّق
والوسخ، ولا استخدام لباس الأفراد الذين لا يُراعون
الطهارة. هذا في ما يخص اللباس.

أما المكان، فيجب أن يكون مُباحاً، إذ لا تجوز الصلاة في
مكان الآخرين إلا برضاهم وإجازتهم.

وفي مراعاة هذه المسائل يتحقق في سلوك المصلي مراعاة
الأدب العبادي، ومراعاة حق الناس. وفي هذا الصدد بحوث
كثيرة تُطلب من مصادرها في الرسائل العملية.

٣ - معرفة القبلة: من الواجبات في الصلاة أن يكون إتجاه
المصلي نحو القبلة، وهي الكعبة المُقدّسة. والهدف من هذا
التوجه، هو أداء الإحترام والتكريم لإبراهيم النبي(ع)، الذي
بنى بيت الله الحرام، وكذلك لتوجيه القلب نحو نقطة مُقدّسة،
ولتنسيق وتنظيم المُصلين والعابدين في اتجاه واحد، وأسرار
أخرى غير ذلك. وهذا التوجه نحو نقطة ودلالة مُعيّنة أمر
رَمزي، وإلا فإن الله تعالى لا يحده حد ولا يقيده زمان أو
يحصره مكان، بل هو خالق الزمان والمكان، وهو كما تقول

الآية ﴿أَيْنَمَا تَوَلَّوْا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾^(١).

لقد كان بيت المقدس هو الكعبة الأولى للمسلمين، وحينما راح اليهود يستهزئون من المسلمين من أنهم لا قبله مستقلة لهم، راح النبي (ص) ينتظر التكليف الإلهي، إلى أن جاء أمر الله بتغيير القبلة نحو الكعبة. وهذه القضية تُعطي لنا درساً في وجوب وضرورة الاستقلال والاعتماد على النفس، وعدم التبعية للأجنبي: وهكذا اقتضى الأمر الإلهي أن تكون الصلاة والدعاء، وذباجة الحيوان، وتناول الطعام والنوم، وكثير من الأعمال الأخرى في اتجاه القبلة.

وفي هذا تناسق وتطابق بين البدن والروح، وبين الظاهر والباطن، ليكون الإنسان في حال ذكر وتوحيد لله في كل زمان ومكان. نعم إن في الكعبة ذكرى إبراهيم وإسماعيل ومحمد عليهم الصلاة والسلام، ومنها انطلقت ثورة عاشوراء، ومنها تنطلق الثورة العالمية للإمام المهدي (ع).

٤ - الأذان: الأذان هو الشعار التوحيدي للمسلمين، الأذان هتاف لتوحيد الله سبحانه، والإقرار بنبوّة محمد (ص)،

(١) البقر: ١١٥

وولاية علي(ع)، الأذان بشارة الفلاح في ظل الصلاة (حيّ على الفلاح)، الأذان تكبير الله عزّ وجلّ. الأذان هتاف ببطلان الآلهة الوهمية الزائفة، والدعوة إلى الإسلام.

لقد كان الصحابي الحبشي (بلال) هو المؤذن الأول في الإسلام، وفي ذلك بيان عملي وتجسيد واقعي على رفض الموازين المادية في تقييم الناس، واعتبار التقوى والإيمان أساساً ومعياراً لوزن الناس وتمييزهم.

الأذان إعداد النفس والقلب والروح الإنسانية لاستقبال الصلاة. إن الصّوت المملوكوتي للأذان هو بشارة فرح وسرور للمؤمنين، وصيحة غضب وخوف في قلوب الكافرين، ومن هنا كان الشهيد نوّاب صفوي يوصي أصحابه بالأذان عالياً حين تحين صلاة الظهر والمغرب في أي مكان كانوا، وقد أثار أذانهم ذلك الرّعب والوحشة في أزلام النظام الشاهنشاهي.

في إحدى جلسات البرلمان البريطاني وقف (اكلاستون) السياسي المعروف، ليقول: ما دام اسم محمد (ص) مرفوع فوق المنارات، وما دام القرآن والكعبة موجودان، فإن من المستحيل

أن يقرّ لسياستنا في بلاد المسلمين قراراً^(١).

نعم فالأذان هتاف وصرخة تزهد الباطل، وتحطّم الشرك والكفر.

ونحن أيضاً نقول، من أعماقنا، هاتفين رغم أنف المشركين والكافرين: الله أكبر، الله أكبر لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

(١) تفسير نمونه : ج ٤ ص ٤٣٨

النّية مظهر للإخلاص

والآن من مقدمات الصلاة إلى نصّها ومضمونها. ونبدأ من النّية التي بها يُقيّم العمل ويُوزن. إن النّية لها من الأهمية في العمل بحيث يؤثر أي خلل فيها - من ريب ورياء - فيؤدي إلى ذهاب العمل هدرًا، وإفساد العبادة، وبُطلان الثواب والأجر. ونظرًا لأهمية الإخلاص في النّية، وموقع النّية الممتاز في العبادات وخاصة الصلاة، فسوف نخصص لها بحثاً مفصلاً - إلى حد ما - في هذا الكتاب.

ما هي النّية؟

النّية هي الدافع والمحرّك والغاية التي يهدف إليها الإنسان من قيامه بعمل ما، وعبادة ما. هذا الدافع والغاية يجب أن يكون في الأعمال العبادية دافعاً إلهياً خالصاً.

أي أن يؤدي الإنسان صلاته بقصد القربة ورضى الله وإطاعة أمره. وفي هذا الحال فقط يتقرب الإنسان بعبادته وصلاته إلى ربّه ويسعدُ بها ويثاب.

النية هي أن يحمل الإنسان المصلي - وهو يستعد لصلاته وأثناء صلاته إلى نهايتها - إدراكاً وفهما للعمل والغاية منه، ويجب المحافظة على ذلك الهدف المحدد في الشرع، وهو (ذكر الله) في القلب والذهن، وإبعاد كل شائبة مادية تؤثر فيه وتلوثه، من رياء وتظاهر وحب المدح من الناس وأمثال ذلك.

إن طريق العبادة والعبودية لله تعالى طريق تحوطه الأخطار والمنزلقات، لذلك لا عجب أن يرد التأكيد الشديد في النصوص الدينية على ضرورة عدم الغفلة عن الغاية والهدف، فنقرأ تكراراً متواصلًا لعبارات (في سبيل الله، في الله، لله)، وقد وردت عبارة (في سبيل الله) سبعين مرة في القرآن الكريم في إطار نشاطات عبادية، مثل الصلاة، والزكاة، والجهاد، والهجرة، والشهادة، والإنفاق، وغيرها.

إن العمل المطبوع والمُزَيَّن (بالصبغة الإلهية) عمل خالد عظيم، لا يخضع لميزان العقل البشري، بل ترى قليله في ميزان الدين كثيراً، وصغيره عظيماً، فيكون أجر الإنفاق القليل الخالص ثواباً عظيماً، وتتغير صورة العمل الدنيوي والمادي في ظل النية الإلهية إلى عمل أخروي معنوي.

إن سبيل الله هو الذي يثمر في الأعمال سعادةً وفلاحاً، ولا قيمة لصيام وجهاد وإنفاق وعبادة في غير سبيل الله. في حين أن إنفاق درهم واحد، والسجود لله سجدة قصيرة، والذهاب إلى الجهاد مرة واحدة، إن كان في سبيل الله، فهو محفوظ عند الله، وصاحبه مأجور. رُوي عن الإمام الصادق (ع) قوله: «من أراد الله بالقليل من عمله، أظهره الله أكثر مما أراد، ومن أراد الناس بالكثير من عمله، أبى الله إلا أن يُقلّله في عين من سمعه»، نعم إن من أراد حبّ الناس ومودتهم فليطلب ذلك من الله، الذي هو (مقلّب القلوب) لا بالرياء، ويقول الإمام الصادق (ع): «القلب حرم الله، ولا تسكنوا حرم الله غير الله».

الإخلاص:

لا شيء أثنى وأعلى للعمل من الإخلاص، وإن إخلاص النية لله وحده لا شريك له، هو الفلاح والنجاح وخلود الأعمال الصالحة، في حين أن معظم أعمالنا - للأسف - تخضع للمصالح الشخصية، ومحاولة كسب رضى الناس وإعجابهم.

وقد روي عن الإمام علي (ع) قوله: «أخلص الله عملك وعلمك وبُعْضُك وأخذك وتركك وكلامك وصمتك»^(١).

إن الصلاة والعبادة التي لا تؤدي بهدف القربة إلى الله تعالى بتمامها وكماها، هي عبادة باطلة محوقة. ولا فائدة ولا قيمة لصلاة جزء منها خالص لله، وجزء آخر قربة لغير الله.

تقول الآية المباركة: ﴿وَلَا يَشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾^(٢).

ونفس الأمر يصدق على الجهاد، فالمقاتل في أرض المعركة الإسلامية، لا يجني من جهاده ثمراً إن كان قد خرج لطلب الغنائم، أو الرياء، أو إظهار البطولة والشجاعة، وأمثال ذلك^(٣).

إن الشرك قد يدخل في عمل الإنسان وهو لا يشعر، وبتعبير الإمام الحسن العسكري (ع) في حديث، قال: «الإشراك في الناس أخفى من دبيب النمل على المسح الأسود في الليلة المظلمة»^(٤) يقول الإمام علي (ع): «الإخلاص أعلى الإيمان»^(٥). والعبادة الفارغة من الإخلاص عبادة مريضة وميتة ولا أثر لها.

(١) فهرست غرر الحكم، مصطلح الاخلاص

(٢) الكهف: ١١٠

(٣) المحجة البيضاء: ج ٦ ص ١٧١

(٤) تحف العقول: ٤٨٧ (٥) فهرست غرر الحكم، مصطلح الاخلاص.

طريق تحصيل الإخلاص:

من كانت لديه بضاعة ثمينة، فباعها بسعر زهيد فقد أخطأ في ذلك، وهذا الخطأ يحتمل له ثلاث احتمالات أدت إلى وقوعه:

الإحتمال الأول: هو عدم إدراك البائع لأهمية بضاعته.

والثاني: هو احتمال كونه رجلاً غريباً لا يعرف في السوق أحداً.

والأمر الثالث: هو جهله بالأسعار ووضع السوق.

أما في سوق الحياة، وفي تجارة النفس، فقد رسم الله تعالى الطريق للناس بكل وضوح، وهدى البشرية إلى معرفة قيمتها ووجودها، من أجل أن لا يبيع الإنسان نفسه وعمله وعبادته بثمان بخس. ورسم له معالم الطريق، طريق البيع والشراء المعنوي الذي يتناول الجوانب الثلاثة على أحسن وجه وأوضح بيان.

فأما قيمة الإنسان ومكانته في الأرض فهي تشریفه بخلافة

الله في الأرض، وتسلمه الأمانة الإلهية، فهو خليفة الله،
ومستودع أمانته.

وأما في الشراء والبيع، فمعلوم أن الذي يشتري أعمال
العباد الصالحة هو الله تعالى، الذي يقبل من الناس بضاعتهم
معما صَغُرَتْ وَقَلَّتْ بأثمان عالية وأسعار رفيعة. ويتجاوز عن
عيوب أصحابها، ويستر سيئاتهم وخطاياهم.

وأما مقدار الثمن ومستوى السَّعر الذي قرَّره الله للبائعي
أنفسهم، فهو الجنة التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر وهي السعادة الخالدة، والنعيم المقيم.

في دعاء أبي حمزة الثمالي، يقول الإمام السجاد(ع): «سَيِّدِي
أنا الصَّغِيرُ الذي ربيته، وأنا الجاهل الذي علَّمته، وأنا الضَّالُّ
الذي هَدَيْته، وأنا الوضيع الذي رفَعته، وأنا الخائف الذي
آمَنته، والجائع الذي أَشْبَعته، والعطشان الذي أرويته،
والعاري الذي كسوته، والفقير الذي أغْنَيْته».

السييل الثاني لاستحصال الإخلاص، هو في معرفة حقارة
الدنيا وزوالها، التي يصفها القرآن بالمتاع القليل، وبضاعة

الغرور، وميدان اللّهُ والغفلة.

إن القلب الإنساني يجب أن يكون بيتاً لحب أعظم محبوب، وهو الله تعالى، وأمّا أولئك الذين يشركون مع الله غيره في أعمالهم وعباداتهم، فسوف يرون فقر شركائهم وضعفهم وحقارتهم يوم القيامة، وسُتَبلى قلوب أهل الشرك والرياء هناك، وتخرج ما فيها من خبائث وأوهام. وكم هم سُعداء أولئك الذين يدفعهم الخوف من فضيحة ذلك اليوم إلى تطهير أعمالهم من شوائب الشرك بمختلف ألوانها وأشكالها، وذلك الأمر لا يتحقق إلاّ بالمواصلة والمداومة على الإخلاص لكسب شهادة التخرّج من مدرسة التهذيب، جاء في الراوية الشريفة: «من أخلص لله أربعين صباحاً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»،^(١) الإخلاص ثمرة اليقين، ومن بنى إيمانه على أساس اليقين بالله والقيامة، والجنة والنار والحساب والكتاب، قضى عمره في رضى الله وطاعته.

علامات الإخلاص:

١ - عدم انتظار الأجر من الناس: إذا كان العمل لأجل

(١) جامع السعادات : ج ٣ ص ٤٠٤

الله، كان الرجاء من الله فقط، وسدّ أبواب الطمع والترجى لشكر الناس. فيمضي صاحب العمل المخلص بكل ثبات وإصرار، سواء التفت إليه الناس أم لا. هذه الحالة هي الدليل الواضح على خلوص العمل. لقد نزلت سورة ﴿هل أتى﴾ في شأن علي وفاطمة والحسن والحسين (ع)، إذ صاموا ثلاثة أيام متوالية بلا فطور ولا طعام سوى الماء، وقدموا كل ما لديهم لثلاثة أشخاص جائعين، في اليوم الأول لمسكين، وفي اليوم الثاني ليتيم، وفي اليوم الثالث لأسير. وما كان قولهم إلا كما جاء في القرآن ﴿إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منك جزاءً ولا شكوراً﴾^(١). هذا هو منطق الإخلاص والمخلصين.

حينما يُقدم المرء على مساعدة الناس، وفي نفسه رغبة في إطلاع الآخرين عليها، فإن هذه المساعدة تفتقد الإخلاص والقربة إلى الله، وإذا امتعض إنسان حين لا يذكر اسمه في قائمة المتبرعين، فلا بد وأن هناك خلل وشائبة في النية والغاية.

٢ - مراعاة التكليف، لا العنوان: كثيرة هي الأعمال التي لا تجد من يؤديها وينجزها، لا شيء إلا لأنها مغمورة ومحقرة لدى عُرف الناس. ولو كان المقياس والمعيار هو أداء التكليف

(١) الدهر: ٩

- وحسب - لما بقيت مُهملة مطروحة.

٣- عدم الندم: إنجاز العمل الصالح لا يحمل معه إلا الرضى والسرور، وليس فيه ما يبرر الندم أو الأسف. العمل الصالح يساوي الثواب والأجر الإلهي. وهذه المعادلة لا يؤثر فيها موقف الناس، ورد فعلهم بأي وجه من الوجوه، فلو ذهب جماعة لعيادة مريض، أو مجلس عزاء، وصادف أن أهل العزاء لم تكن استجابتهم واحترامهم وتقديرهم لهذه الجماعة كما ينبغي، فلا داعي للإحساس بالألم والندم إن كان الهدف من الزيارة والعيادة هو القربة ورضى الله، أما في حال الندم والأسف فذلك إشارة وأمانة على وجود خلل في النية والغاية.

٤ - عدم التأثر بذوق الناس: وهذه علامة رابعة من علامات الإخلاص، وهي أن لا تجري الأعمال العبادية بما يتلاءم ورغبات واستحسان الناس وقبولهم، بحيث تصبح المقياس في تحديد ما يكون وما لا يكون. والعمل الصالح إنما هو ذلك الذي يؤديه صاحبه على ضوء القربة والطاعة لله، سواء أوافق ذوق الناس أم لا، لنقرأ في هذا

كلام أمير المؤمنين (ع): «للمرائي ثلاث علامات: يكسلُ إذا كان وحده، وينشط إذا كان في الناس، ويزيد في العمل إذا أثني عليه، وينقص إذا دُمَّ».^(١)

٥ - وحدة الظاهر والباطن: هذه العلامة تعني أن تتطابق علانية المرء وظاهره مع سريره وباطنه، لا كمن يبيعُ الشعر مُغلِّفًا بالحنطة. فيكون ظاهر البضاعة غير باطنها وجوهرها. يقول الإمام علي (ع): «من لم يختلف سرّه وعلانيته، وفعله، ومقالته، فقد أدّى الأمانة وأخلص العبادة»^(٢). هذه هي بعض العلامات في موضوع الإخلاص.

إن الإنسان المخلص يتمتع بقلب نُوراني، وبنجاح في العمل، وبالثواب الدنيوي والأخروي، والعاقبة الخيرة، والمحبوبة وحُسن السُّمعة لدى الناس، وهذا ما وعد الله عباده المخلصين، والله لا يضيع أجر من أخلص عملاً. إذن فلتوجه - ونحن نُصلي - بكل إخلاص إلى الله، ولتكن صلاتنا مستجابة الدعاء^(٣). ثواب صلاة لا يقتصر على الأداء فقط، بل إنّ في الجلوس في المسجد انتظاراً لها عبادة كذلك^(٤).

(١) المحجة البيضاء: ج ٦ ص ١٤٤

(٢) نهج البلاغة: رسالة ٢٦

(٣) الوسائل: ج ٤ ص ١٠١٦

(٤) الوسائل: ج ٣ ص ٨٥

صلاتكم، فمعلوم أنها حظيت بقبول الله ورضاه، وكذلك العكس إذا حصل العكس^(١).

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

البسملة ليست مخصوصة في شريعة الإسلام فقط، بل هي موجودة في كل الكتب الإلهية، (بسم الله) تطبع العبادة بالطابع الإلهي، وتصبغها بالصبغة الإلهية. وقد كانت البسملة مفتاح عمل الأنبياء (ع)، فالنبي نوح (ع) ألقى سفينته في البحر باسم الله، وأرساها باسم الله. (بسم الله) هي رمز الحب الإلهي، والعبودية والثقة بالله، وهي نداء من الإنسان لربه: إلهي أنت في ذكري وفكري أبداً، وذكرك هذا سلاح أقاتل به الشيطان، وأهزمه.

﴿الحمد لله رب العالمين﴾

الله رب السماوات والأرض والكون جميعاً، جعل الجبال في

(١) المحجة البيضاء: ج ١ ص ٣٨٥

معان إسلامية رفيعة. الله أكبر، أي أكبر من أن يوصف، وأكبر من أن يستوعبه لسان ولا أذهان، هذا الشعار هو بوابة الصلاة ومدخلها، وترجمان الحضور القلبي إلى فعل ونطق.

الله أكبر، بمعنى علوّ الله على كل الكبار، وتعالیه على كل العظام، فهو أصل كل قدرة وعظمة، ومن يوكل أمره إلى الله ويتوكل عليه، فلا يهاب سواه، ولا يعتمد على أحد غيره.

وفي هذا الإفتتاح للصلاة يمتاز المسلمون عن الكفار والمشرّكين والضّالّين، الذين يتبدىء بعضهم أعماله باسم الصّنم، وآخرون بالأنبياء، وبعض بالزعماء والرؤساء.

حينما يهتف المصلي بهتاف (الله أكبر) في أول كل صلاة، فهو يُعبّر في ذلك عن رفض القوى الطاغوتية، والوساوس الشيطانية، والإنجذابات المادية. وهكذا تصغر كل الأشياء في عين الإنسان حين يزداد معرفة لربه وخالقه ومعبوده، مثله في ذلك مثل الطائفة التي كلما ازدادت تحليقاً وارتفاعاً في الفضاء، ازدادت به بنايات الأرض ومرتفعاتها ضالّة وصُغراً. يقول المرحوم الفيض الكاشاني: إذا وجدت حلاوة المناجاة في

في محراب الصلّاة

ومن النية وآثارها، إلى صُلب الصلاة ومحتواها.

في الصلاة حركات وأذكار، تتضمن كل واحدة منها فلسفة خاصّة وسرّ معيّن ومفاهيم معنوية عالية، ولو اعتبرناها الهيكل البدني لهذه العبادة، فإنّ الخضوع القلبي واستشعار ودرك رمز العبودية وأهميتها، ووعي جزئيات هذا العمل العبادي ومفرداته، يشكل العنصر الأساسي في بناء الصلاة، والحكمة العليا من ورائها.

إذ أن استيعاب مفاهيم الأذكار الواردة في الصلاة، وهضم معنى الأفعال والحركات فيها، يُهيء المصلي نفسياً لمرحلة أخرى، هي مرحلة الخشوع القلبي، والخضوع البدني، والتوجه الباطني نحو الإله الأحد.

تكبيرة الإحرام:

(الله أكبر) هي تكبيرة الإحرام في الصلاة، وفي هذه العبارة

صلاةً لا يوزاها إنفاق بيت من ذهب^(١). ولتكن صلاتنا في
أول الوقت، وفي المسجد، وفي الجماعة، صلاة ليس فيها كسل
ولا فتور ولا ملل، لأن ذكر الله فوق كل شيء ﴿ولذكر الله
أكبر﴾^(٢).

(١) الوسائل : ج ٣ ص ٢٦
(٢) العنكبوت : ٤٥

الأرض أوتاداً، وخلق الشمس وجعل بينها وبين الأرض بُعداً متناسباً، خلق الإنسان وألهمه سبيل الحياة، وطرق سد حاجاته، أعطاه السمع والبصر والقدرة والفكر والغرائز، ووهبه لطافاً كثيرة مرئية وخفية. فما أجحد الذين ينكرون كل هذه النعم، ولا يكلفون أنفسهم حتى بالشكر اللساني، بل يذهبون أبعد من هذا حين يتمردون على حدود الدين ويعصون رب العالمين، هذا هو الجهل والظلم، وحقيقة أن الإنسان ظلوم جهول.

الحمد لله، هو حصر كل الشكر والثناء لله وحده، الذي خلق كل شيء، وهداه إلى ما فيه سعادته وكماله. وإنَّ الألسنُ لعاجزة مُتلكئة عن إحصاء نعمه وخيراته، فكيف يمكنها - والحال هذه - أداء الشكر له كما ينبغي ويليق؟

﴿الرحمن الرحيم﴾

إنَّ الله تعالى رحمانية دائمة، ورحمة عمومية، إذ لا ترى أحداً محروماً من رحمة الله، التي يصل مداها وشعاعها إلى كل البشر، حتى المذنبين منهم، قد فتح لهم باب (التوبة) رحمة بهم وحباً في

سعادتهم ونجاتهم وإنقاذهم. إن رحمة الله من السَّعة بمكان، بحيث يُعدّ اليأس منها من الذنوب الكبيرة، ﴿لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً﴾^(١).

وهل هناك رحمة أجمل وأوسع من أن يستر الله تعالى ذنوب الناس ويغفرها، ثم يُبدّل السيئات حسنات؟.

وقد يتصور البعض أنّ الرحمة هي في حلاوة الحياة، وما فيها من جوانب مُفرحة، في حين أنّ الأمر يتعدى ذلك إلى إعتبار حتى الوقائع الصَّعبة، والظروف المرّة - من مرض وفقر وألم وأمثـالها - مصاديق للرحمة الإلهية، من حيث كونها عبرة وموعظة لتنبية الناس من غفلتهم، وتحذيرهم من الوقوع - أو الإستمرار - في مسير الغيِّ والهوى.

﴿مالك يوم الدين﴾

إن مُلك الله لا يقتصر على الآخرة ويوم القيامة، بل لله ما في السموات والأرض، وهو المبدئ والمُعيد. وإنما خصَّص هنا (يوم الدين)، لأن المُلْك الإلهي في ذلك اليوم يبرز ويظهر

(١) الزمر: ٥٣

للملأ وللخلق بأجلى صورة، وأكمل مشاهدة، حيث الأمر
والحكم لله الواحد الأحد، لا سواه، ﴿والأمر يومئذ لله﴾^(١)،
﴿لن الملك اليوم، لله الواحد القهار﴾^(٢). وبهذه الإشارة
والإنارة لهذا اليوم، يعيش المصليّ ميدان ذلك المشهد في قلبه،
فيخشع لله ويخشى من الله ويرتعش قلبه من هول ذلك
الموقف.

كان الإمام السجاد (ع) حين ينتهي إلى هذه العبارة القرآنية
﴿مالك يوم الدين﴾ يظلّ يكرّرها حتى تكاد روحه تخرج من
بدنه. وهكذا تزال قساوة القلوب وتجلّي الأدران منها،
وتنمحي عنها آثار الغفلة والتكبر والنسيان.

﴿إياك نعبدُ وإياك نستعين﴾

إلى هنا تنتهي المقدمة التي تضمنتها سورة الفاتحة، وهي
مقدمة ضرورية في إظهار العبد عبوديته، وبيان حاجته،
وطلب العون والمساعدة. إذ ابتدأ الكلام بالثناء والمدح، ثم
بالإعتراف الراسخ الأكيد بربوبية الله وهدايته للكون، وحصر

(١) الانفطار : ١٩

(٢) غافر : ١٦

الثناء لله والحمد له وحده. إلى أن وقف على أعتاب عظمته ورحمته، وهو يرجو قضاء حاجته بهذه الجملة القرآنية ﴿إياك نعبد....﴾ أي أننا عبيدك وعبادك، طائعين وخاضعين لمشيئتك، لا سواك أحد يُعبد، ولا معبود يُطاع. أنت الإله، وأنت المعبود لا غيرك.

و﴿إياك نستعين﴾، لا معين لنا إلا أنت، ولا نستعين بشيء عداك، حتى في عبادتنا لك نفتقر إليك. ونأمل في توفيقك الذي لا تتم العبادة إلا به، إذ بدونه لا يكون مصير الإنسان، إلا الإنقياد للشيطان، والاستسلام لوساوسه.

إن الإستعانة بالله وطلب الاستطاعة البدنية، وسلامة الجسم - منه تعالى - أمر أساسي في القدرة على العبادة، وفي معرفة الواجب الشرعي وأداء التكليف. وعلى ضوء هذا يكون الوقوف في محراب العبادة اظهاراً للعبودية والشكر لله، الذي بيده أمر الصلاة وقبولها، والإنسان ونجاحه، والعبادة وأدائها، والطاعات والإستقامة عليها، والمنكرات وتجنبها، والكمالات والوصول لها.

حينما يقول العبد ﴿إياك نعبد﴾ يكون قد رفض وكفر

بعبادة قوى الشرق والغرب، ولم يعدّ يخاف سطوتهم، في نفس الوقت الذي لا تجذبه قوى الطمع إليها، ولا تشده الأموال والشهوات والمقام وأمثالها.

وعندما يقول ﴿إياك نستعين﴾، فهو قد هتف ببطلان القوى المادية وحقارتها، وتوجّه إلى مركز ومنبع الفيض والقدرة.

﴿إهدنا الصراط المستقيم﴾

في زحمة الطرق، وفي غمرة المنعطفات الكثيرة في الحياة، لا يوجد سوى سبيل واحد يهدي إلى الله، ويوصل إلى السعادة والفلاح، هو الصراط المستقيم، هذا الصراط الذي تحتاج معرفته وسلوكه إلى هداية من الله، وتوفيق منه عزّ وجلّ. نقول: ﴿إهدنا الصراط المستقيم﴾، لأن الطرق الملتوية والمنحرفة طرق كثيرة منها: طرق هوى النفس، ووساوس الشيطان، والإفراط والتفريط، والأذواق الشخصية في تفسير الدين، أو تبعية الطواغيت، وغيرها من الطرق المنحرفة الضالّة.

أما الصراط المستقيم، وهو جادة الصواب، وسبيل الفلاح

فقد رسمه القرآن الكريم بأنه صراط الله، ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(١)، وصرط أنبيائه ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٢)، صراط عبادة الله وطاعته ﴿وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾^(٣)، صراط الأئمة المعصومين، صراط الصديقين والشهداء والصالحين.

وبديهي أن الحركة في هذا المسير الإلهي قد تتباين، من ظرف لظرف، ومن موقف لموقف، ومن شخص لشخص، إذ قد يتطلب (التكليف) الإلهي ممارسة نشاطات مختلفة، وليس بالضرورة أن يكون سير ومجرى الأعمال العبادية ثابتاً في كل الأحوال، ومن هنا فإن عملية تشخيص الصراط المستقيم في الظروف المختلفة، ليست بالأمر اليسير السهل، فضلاً عما فيه من مصاعب خلال التطبيق والعمل، ومن هنا فلا بد من الإستعانة بالله في معرفة الصراط وفي طيّه والمسير فيه إلى النهاية، من أجل أن تكون أفكارنا وأعمالنا وأخلاقنا، ووظائفنا الإجتماعية والسياسية وسلوكنا في البيت وفي المجتمع مطابقة لصرط الله.

وفي تفسير الصراط المستقيم نقرأ قول الإمام الحسن

(١) هود: ٥٦

(٢) الزخرف: ٤٣

(٣) يس: ٦٢

العسكري (ع): «الصرّاط المستقيم هو صراطان: صراط في الدنيا، وصرّاط في الآخرة، فأما الصراط المستقيم في الدنيا فهو ما قصر عن الغلو، وارتفع عن التقصير، واستقام فلم يعدل إلى شيء من الباطل. وأما الطريق الآخر، فهو طريق المؤمنين إلى الجنة»^(١).

ويقول الإمام الصادق (ع) في تفسير آية ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾: (ارشدنا إلى الصراط المستقيم، ارشدنا للزوم الطريق المؤدي إلى محبتك والمبلغ إلى دينك، والمانع من أن نتبع أهواءنا فنعطب)^(٢).

وهكذا لا مناص من الرجوع إلى الدين لتشخيص معالم الصراط المستقيم، وطلب التوفيق من الله عزّ وجلّ.

﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾

وفي هذه الآية توضيح مختصر للصرّاط، إذ وُصف هنا بأنه صراط الذين أنعمت عليهم، نعمة الهداية والتوفيق، ونعمة العلم والجهاد والشهادة، ونعمة القيادة الدينية، وغيرها من النعم: ﴿من يُطع الله والرّسول فأولئك مع الذين أنعم الله

(١) بحار الانوار: ج ٢٤ ص ٩

(٢) بحار الانوار: ج ٢٤ ص ٩

عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحُسنَ أولئك رفيقاً»^(١).

وقد جاء في بعض الروايات، أن صراط الذين أنعمت عليهم، هم الأئمة (ع)^(٢). هذا وإنّ عرض الآية الكريمة للصراط المستقيم بطريقة الرّجاء في الهداية إليه، هو بمثابة عملية تلقين واعية للخط الفكري والعملي الصحيح.

﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالّين﴾

رفض لصراط الفراعنة، والطواغيت والمستكبرين والأثرياء المتجبرين، والعلماء الفاسقين. رفض لصراط المنافقين والمنافقات والمشرّكين والمشرّكات، الذين تقول فيهم الآية الشريفة: ﴿يُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتُ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتُ الظَّالِمِينَ بِاللّهِ ظَنّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾^(٣).

إنه رفض وكفر بصراط أولئك الذين غضب الله عليهم، وصراط المنحرفين الضالّين، الذين زلّت أقدامهم عن جادة

(١) النساء : ٦٩

(٢) بحار الانوار : ج ٢٤ ص ٣٠ وما بعدها

(٣) الفتح : ٦

الحق، وسقطوا في طريق الضلال والفساد. أعاذنا الله منها، وجعلنا من جملة عباده الصالحين.

سورة التوحيد

سورة التوحيد تشرع بالبسملة أيضاً، ثم تتناول مفاهيم ومعارف الوحدانية، والمقدرة والغنى الإلهي، إلى أن تنتهي بمجموعة صفات إلهية أخرى.

سورة التوحيد تتضمن توحيد الله سبحانه في الخلق والربوبية والمالكية والحاكمية والإغاثة والغنى.

ما هو معنى ﴿الله الصَّمَد﴾؟.

الصَّمَد، هو الذي يحتاجه المحتاجون. والصَّمَد هو المنزه عن كل صفة بشرية، عن الخطأ والغفلة والنسيان والنوم والطعام والولادة والإنجاب وغيرها^(١)، ﴿ليس كمثله شيء﴾^(٢)، فهو ليس كما يقول النصارى بأن عيسى ابنه، ولا كما يزعم اليهود بأن (عُزيراً) ولده، ولا هو سبحانه قد اتخذ

(١) بحار الانوار: ج ٣ ص ٢٢٣

(٢) الشورى ١١

الملائكة بنات له، كما يتوهم المشركون.

الله سبحانه منزّه عن كل تكلم الأباطيل، فهو الإله الذي لم يلد، ولم يولد، وليس له شبيه ولا نظير، ﴿ليس كمثله شيء﴾، ولا في الكون قوة ولا قدرة كقدرته وقوته.

هذه هي سورة التوحيد، التي نقرأها في الصلاة، حيث نكون متّجهين نحو القبلة بأبدان مستقرة، وفكر خالص في ذكر الله، وشعور واع بالعبودية والطاعة، وقلب مملوء بالخشوع والتضرع، ونفس حالها التواضع واستشعار العظمة الإلهية. وبإله من موقف رائع، موقف عبد أمام المعبود، مخلوق في محضر الخالق، محتّاج في ساحة الغنى الإلهي. إنه موقف اللاشيء أمام كل شيء.

لو هيمن مثل هذا الإحساس على الإنسان وهو في صلاته، فهل من الممكن أن يتّجه القلب والجوارح إلى شيء أو أمر آخر، ويغفل عن الله؟ لقد علّق الرسول الأكرم (ص) على مشهد رجل يُصلي وهو مشغول بلحيته، فقال (ص): «أما أنه لو خشع قلبه لخشعت جوارحه»^(١).

(١) بحار الانوار: ج ٨٤ ص ٢٢٨

الركوع:

الركوع ترجمة عملية لتعظيم الله، وإظهار الطاعة والعبودية له. الركوع، هو إعلان الإنسان عن استعداده على قطع رأسه في سبيل الله. يقول الإمام الصادق (ع): «وفي الركوع أدب، وفي السجود قُرب، ومن لا يُحسن الأدب لا يصلح للقُرب»^(١)، وعنه (ع): «إنَّ علياً (ع) كان يعتدل في الركوع مُستوياً، حتى يُقال لو صُبَّ الماء على ظهره لاستمسك، وكان يكره أن يجدر رأسه ومنكبيه في الركوع»^(٢). الإمام الصادق (ع)، كان يكرر ذكر الله في الركوع والسجود أكثر من ثلاثين مرة.

إن الركوع ركن من أركان الصلاة، تبطلُ بنسيانه عمداً أو سهواً. وفي كل ركعة صلاة ركوع واجب، إلا صلاة الآيات، التي في كل ركعة منها خمس ركوعات، وصلاة الميت التي ليس فيها ركوع. الركوع مزيج من الفعل والذكر، من الحركة واللفظ، وهو تعبير عيني عن تواضع العبد وخضوعه لربه، إذ يقول وهو مُنحنيّاً (سبحان ربيّ العظيم وبحمده).

(١) بحار الانوار : ج ٨٢ ص ١٠٨

(٢) بحار الانوار : ج ٨٥ ص ١١٨

إن بعض الملائكة في ركوع دائم، وحينما يهوي المصلي راکعاً يكون قد وقف موقفاً موحداً ومتناسقاً معهم، في صورة عبادة رائعة، ومشهد عبودي عظيم.

السجود:

وهو من أركان الصلاة أيضاً. ولا يجوز لأحد غير الله، إلا بأمر الله عزّ وجلّ، كما في سجود الملائكة لآدم (ع)، ومثل هذا السجود هو في حقيقة الأمر امتثال لله وطاعة لأمره.

السجود تذللّ وتصاغر وتواضع أمام الله، وكل ما في الكون حقير أمام الله، ساجد في ساحة عظمته وكبريائه ﴿ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس﴾^(١).

السجود تسبيح لله. وتنزيه له من كل عيب وضعف، ومن كل خصيصة بشرية، ومن كل شيء يخضع لمساحة دائرة الفكر والذهن البشري، وهو أعلى درجات العبودية والطاعة، لذا فمن الواجب أن يؤدي بقلب ونفس متذلّلة خاشعة منكسرة

(١) الحج : ١٨

ورد عن الإمام الصادق (ع) قوله: «كان علي بن الحسين (ع)، إذا قام في الصلاة تغير لونه، وإذا سجد لم يرفع رأسه حتى يرفض عرقاً»^(١)، وفي كتاب الفقيه: «كان أبو الحسن موسى بن جعفر (ع) يسجد بعد ما يُصلي، فلا يرفع رأسه حتى يتعالى النهار»^(٢).

ونقرأ في القرآن أوصاف أصحاب الرسول الأكرم (ص):
﴿تراهم رُكعاً سَجْدًا يبتغون فضلاً من الله ورضواناً﴾^(٣).

وعن الرسول (ص): «أكثر السجود، فإنه يحطّ الذنوب كما تحطّ الريح ورق الشجر»^(٤).

السجود أشدّ الأشكال العبادية إيذاءً وألماً في عين إبليس، فقد كان تكبره عن السجود، سبباً في طرده من المحضر الإلهي، وملاحقته باللّعة الأبدية.

وما أفضل السجود، حينما يكون على تربة كربلاء، التربة التي احتضنت أجساد قافلة الشهادة والفداء والتضحية، من

(١) المحجة البيضاء: ج ١ ص ٣٥٢

(٢) المحجة البيضاء: ج ١ ص ٣٤٥

(٣) الفتح ٢٩

(٤) بحار الانوار: ج ٨٥ ص ١٩٩

سيد الشهداء (ع) وأصحابه وأهل بيته البررة.

سُبْحان الله:

هذا الذكر الرفيع المليء بالمعاني والمضامين، قد ورد في جميع أشكال العبادات الإلهية، من دُعاء، وسجود، وركوع ومناجاة وغيرها، وهو تعبير عن حقيقة جارية في مختلف مواضع الفكر الإسلامي، والعقيدة الإسلامية. وهو أساس ارتباط الإنسان بالله وعبادته وطاعته.

وعلى ضوئه يُفسر الكمال في صفات الله، ويُفهم التوحيد، إذ أن روح التوحيد هي تسبيح الله وتنزيهه عن شتى ألوان العيوب والنقص. وكذلك يفسر العدل، إذ أن من معاني التسبيح هو القول والإعتقاد بنزاهة الله من كل ظلم وإجحاف وعدوان.

أما النبوة والإمامة، فأساسهما التسبيح أيضاً، أي تنزيه الإله من أن يترك الناس في ضلال وضياع عقائدي وفكري ولا يُرسل إليهم رسلاً للهداية والولاية.

والمعاد الذي هو الأصل الثالث من أصول الدين يقوم على قاعدة التسبيح كذلك، فالتسبيح هو تنزيه الله من ظلم الناس

وبخس حقوقهم، والمساواة في مُعاملة المُحسن والمُسيء منهم فتذهب حسنات المُحسنين وسيئات المُسيئين، بلا أثر ولا حساب. والحق أن الله تعالى الذي أرسل الأنبياء (ع) ضمن قافلة تاريخية تمتد آلاف السنين، لم تكن حكمته في ذلك مجرد تنظيم حياة البشر الدنيوية وإصلاحها، وإنما الهدف أعظم وهو العودة في الحياة الآخرة، التي ينال فيها الناس أجرهم وجزاءهم. وهو ما يشكل جزءاً مهماً من العقيدة الإسلامية ذات الأصول الدينية العظيمة.

إن العبد المُسَبِّح لله تعالى هو العبد المُحب له سبحانه، والتسبيح أساس الحب والرضى والطاعة والعبودية والخضوع والتوكل والتقوى والعبادة، وكلها معارف دينية ومفاهيم إسلامية راقية عالية، أساسها وروحها الاعتقاد التام لدى الإنسان العابد بنزاهة وكمال وعظمة وحكمة وتدبير وقدرة الله تعالى.

لقد احتلّ التسبيح حيزاً مهماً في دائرة الأوامر الإلهية التي أمر بها رسول الله (ص)، فقد وردت هذه الكلمة بصيغة الأمر ست عشرة مرة في القرآن، من قبيل: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ

طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آنائي الليل فسبح وأطراف
النهار^(١).

﴿وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار﴾^(٢).

﴿ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم﴾^(٣).

وروي عن الإمام السجاد (ع) قوله في تفسير التسيح: «هو
تعظيم جلال الله عز وجل، وتنزيهه عما قال فيه كل مشرك،
فإذا قالها العبد صلى عليه كُُلَّ مَلَكٍ»^(٤).

ولهذا ترى أولياء الله لا يفترون عن التسبح والذكر، وهم
يلهجون بحب ربهم وتقديسه وتعظيمه. وها نحن نضم
صوتنا إلى أصوات الكائنات بقلب ولسان صادق لنقول:
(سبحان الله).

القنوت:

القنوت في الصلاة، هو التضرع، وعرض الحاجة في محضر
رب العالمين، وطلب قضائها منه تعالى.

(١) طه : ١٣٠

(٢) غافر : ٥٥

(٣) الطور : ٤٨

(٤) توحيد الصدوق : ٣١٢

والقنوت عمل عبادي فيه استحباب مؤكد، وأجر عظيم. ومعناه: الطاعة، والدعاء، والتوجه، والخشوع. ليس في القنوت دعاء مُحدّد، ولا ذكر مخصوص. وقد رُوي عن رسول الله (ص) قوله: «أطولكم قنوتاً في دار الدنيا، أطولكم راحة يوم القيامة في الموقف»^(١)، ومن هنا فإن الصلاة المثلى هي تلك التي تتضمن قنوتاً طويلاً، ودعاءً كثيراً، ومناجاة خاشعة.

التَّشَهُّد:

هو الجلوس بعد نهاية كل ركعتي صلاة، وفي أنتهاء كل صلاة، والشهادة بوحداية الله، ونبوة محمد (ص)، ثم الصلاة والسلام على النبي وآله. وفي هذا التكرار للمضامين والشعارات العقائدية غاية جميلة وهدف كبير، هو ترسيخ الفكر العقائدي، ومواصلة المسير في الطريق الإلهي، وتجديد البيعة لله ورسوله. والذي يُلاحظ في هذا العمل العبادي أن الشهادة بعبودية النبي (ص) لربه، قد سبقت الشهادة برسالته ونبوته، ممّا يعني أن العبودية أعظم من النبوة، فرسول الله، ما

(١) بحار الانوار: ج ٨٥ ص ١٩٩

صار رسولاً لو لم يكن عبداً لله.

إن الصلاة على النبي وآله من الواجبات في الصلاة، وصيغتها اللفظية هي: (اللهم صلّ على محمد وآل محمد)، وفي فضلها وثوابها نكتفي بالأحاديث الثلاثة التالية:

عن النبي (ص)، أنه قال: «أكثرُوا الصلاة عليّ، فإن الصلاة عليّ نور في القبر، ونور على الصراط، ونور في الجنة»^(١).

وقال (ص): «البَخِيلُ حَقّاً مَنْ ذُكِرَتْ عَنْده فَلَمْ يُصَلِّ عليّ»^(٢).

وعنه (ص): «صَلَاتُكُمْ عليّ مَجْزُوءَةٌ لِدَعَائِكُمْ، وَمَرْضَاةُ لِرَبِّكُمْ، وَزَكَاةٌ لِأَبْدَانِكُمْ»^(٣).

السلام:

السلام: بمعنى السلامة، والخير، والبركة والأمان. (السلام) من أسماء الله. وسلامنا على رسول الله في الصلاة، هو علامة أدب، ودليل احترام وتقدير. وصيغة هذا السلام

(١) مستدرک الوسائل: ج ٥ ص ٥٤

(٢) الوسائل: ج ٤ ص ١٢٢٠

(٣) بحار الأنوار: ج ٩١ ص ٦٤

هي «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته». وهذه التحية تثمين لما عانى وواجه (ص) من مشقة ومشكلات، وما أبلغ وأدّى من أمانة الرسالة، وللجهد والجهاد، الذي بذله من أجل أن يكون الناس مسلمين مؤمنين.

ثم نقرأ في السلام هاتين العبارتين (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته). السلام تحية أهل الجنة ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾^(١)، السلام تحية الملائكة لأهل الجنة ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ﴾^(٢).

حينما يقرأ المصلي هذه التحية (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) يمتلكه إحساس بالإطمئنان والإرتياح، وهو يرى نفسه ضمن هذا الجمع المؤمن الصالح، في إطار هذه القافلة المباركة، في هذا البحر الطاهر من العباد المتقين، لتنتهي بذلك الصلاة، حيث ينقضي الوقت الرسمي لهذا اللقاء المعنوي، الذي تعقبه أدعية وتعقيبات مُتَمِّمة لها، سوف نتناولها في بحث مختصر مجمل:

(١) إبراهيم : ٢٣

(٢) الرعد : ٢٤

تعقيبات الصلاة

من كمال الصلاة وجمالها، أن يجلس المصليّ، وقد أنهى صلاته ليذكر الله تعالى ويحمده، ويستعينه، ويقرأ شيئاً من المستحبات، ليكون في عمله هذا قد حافظ على الصورة المعنوية للصلاة، والهيئة الجميلة للعبادة والطاعة، وهو وداع مؤدب ورائع لهذه العبادة الكريمة، مثلما أن الأذان والإقامة لون من ألوان الإستقبال لها. وهذا من شأن الضيف المؤدّب، الذي يصرف جزءاً من الوقت - قبل الطعام وبعده - وهو يجالس صاحب البيت ويحاوره.

إن استقبال الصلاة استقبالاً لائقاً، وتوديعها كما ينبغي ويليق بها، مؤشر ودليل على العناية والعلاقة والحب لها، تقول الآية الكريمة: ﴿فَإِذَا فرغت فأنصب وإلى ربك فارغب﴾^(١) فبعد انتهاء الفريضة والعبادة الواجبة، يأتي دور الدّعاء، والمناجاة المستحبة.

وقد روي عن الإمام الصادق (ع) قوله: يُستجاب الدّعاء في أربعة مواطن: في الوتر، وبعد طلوع الفجر، وبعد الظهر، وبعد المغرب^(٢).

(١) الانشراح : ٧

(٢) مستدرک الوسائل : ج ١ ص ٣٣٦

هذا، وقد وردت في كتب الأدعية مجموعة من الأذكار والأدعية والأعمال المستحبة في خصوص التعقيبات، تُطلب من مصادرها.

تسبيح الزهراء (ع):

من التعقيبات المهمة بعد الصلاة تسبيح الزهراء (ع)، الذي تعلّمته فاطمة الزهراء (ع) من أبيها (ص)، وهو بالشكل التالي: أن تقول ٣٤ مرة الله أكبر، و٣٣ مرة الحمد لله، و٣٣ مرة سُبْحَانَ اللَّهِ.

ولمعرفة أهمية وفضيلة هذا التسبيح نقرأ هذه الرواية عن الإمام الباقر (ع): «ما عبد الله بشيء من التحميد أفضل من تسبيح فاطمة الزهراء (ع)، ولو كان شيء أفضل منه، لنحله رسول الله (ص) فاطمة (ع)». ^(١)

وقد ورد عن الإمام الصادق (ع) في حديث مضمونه أن هذا التسبيح أفضل عند الله تبارك وتعالى من ألف ركعة صلاة مستحبة.

(١) مستدرک الوسائل: ج ٥ ص ٣١

وفي هذا الصدد نشير إلى قيمة وأهمية السبحة المعمولة من
تربة قبر الإمام الحسين (ع)، التي ورد فيها أن المسيح ينسى
التسبيح، ويدير السبحة فيكتب له التسبيح^(١). هذا في التسبيح
أما في السجود على الأرض، فهناك تأكيد في الروايات الواردة
عن الأئمة (ع) على فضيلة تربة سيد الشهداء (ع).

إن هذه التربة فيها عبرة وموعظة في تذكير الإنسان وتربيته
على الثقافة الجهادية الاستشهادية، تلك الثقافة التي جسدها
الحسين (ع) تجسيدا عمليا في التضحية بنفسه وأهله وأصحابه
في سبيل الله عز وجل. هذا، وقد جاء تسبيح الزهراء (ع) في
كتب أهل السنة كذلك^(٢).

إن الأمر المهم في تسبيح الزهراء (ع)، هو مسألة التدبر
والتأني والتوجه وفهم المعاني، وليس مجرد التلفظ والنطق
السريع، حيث بمقدار ما تُقرأ بوعي ووقار وإدراك، يكون
الثواب والأثر والتأثير.

(١) جواهر الكلام: ج ١٠ ص ٤٠٥

(٢) صحيح مسلم: ج ١ ص ٤١٨ صحيح البخاري ج ١ ص ١١٠

سند ابن ماجه ج ١ ص ٢٩٩

سجدة الشكر:

وهي من التعقيبات أيضاً، وهي عمل عبادي عظيم، يشكر فيه ربّه على ما أنعم وتلطّف وأعطى، قائلاً (شكراً لله، حمداً لله). وقد أكدت الأحاديث الشريفة كثيراً عليها، من جملتها هذا الحديث الشريف: «إن العبد إذا سجّد وقال: يا ربّ، يا ربّ، يا ربّ، حتى ينقطع نفسه قال له الرّبّ تبارك وتعالى: لبيك ما حاجتك»^(١).

ولا يشترط في سجدة الشكر قول وذكر مُعين، إذ أن مجرد وضع الجبين على الأرض، بنيّة الإقرار والإعتراف بنعم وعطاء الله وتوفيقه على العبادة والطاعة، يعتبر سجود شكر.

وعن سجدة الشكر وثوابها يقول الإمام الصادق (ع): «سجدة الشكر واجبة على كل مُسلم، تتمّ بها صلواتك، وترضي بها ربّك، وتعجب الملائكة منك، وإنّ العبد إذا صلى، ثم سجّد سجدة الشكر، فتح الرّبّ تبارك وتعالى الحجاب بين العبد وبين الملائكة، فيقول: يا ملائكتي أنظروا إلى عبدي أدّى فرضي، وأتمّ عهدي، ثم سجّد لي شكراً على ما أنعمت به

(١) المحجة البيضاء: ج ١ ص ٣٤٧

عليه. ملائكتي ماذا له عندي؟ قال: فتقول الملائكة: يا ربنا رحمتك، ثم يقول الربّ تبارك وتعالى: ثم ماذا؟ فتقول الملائكة: يا ربّ جنتك.... فيقول الله تبارك وتعالى: أشكر له كما شكر لي، وأقبلُ إليه بفضلي، وأُريه وجهي»^(١).

صلاة الجمعة:

في قسم من العبادات في الإسلام جوانب سياسية واجتماعية، مُضافاً لما تحمله من مضامين روحية ومعنوية، وخصوصاً العبادات التي تقام جماعة وعلائية، كصلاة الجمعة، هذه العبادة التي لها مكانة مقدسة ومكرّمة، من حيث أنها من مظاهر عظمة الإسلام، وهيبة المسلمين، ورمز من رموز الوحدة الإسلامية، وسلاح من أسلحة مقاتلة الأعداء.

في هذه الصلاة آثار اجتماعية وسياسية كثيرة في حياة الفرد وفي المجتمع.

تتألف صلاة الجمعة من ركعتين وخطبتين لإمام الجمعة، ويطرح في الخطبتين موضوع التقوى، والمواضيع الأخلاقية،

(١) المحجة البيضاء: ج ١ ص ٣٤٨

والتربوية، وهي من واجبات الخطبة، مع تناول قضايا الناس، ومشكلات المجتمع الإسلامي، والأمور السياسية والاجتماعية للمسلمين، وعرض الأخطار والمؤامرات التي تهدد الإسلام والمسلمين، والتحذير منها، وغير ذلك من الأمور الضرورية، التي فيها صلاح الحاضرين، وقد ورد في الاسلام حث مؤكد على اهمية المشاركة في هذه الصلاة إلى درجة يُوضّحها رسول الله (ص) بقوله: «من ترك ثلاث جُمُعٍ مُتعمّداً من غير علة، طبع الله على قلبه بخاتم النفاق»^(١)، وفي محل آخر قال (ص) لشخص اسمه قُليب: «يا قُليب، عليك بالجمعة، فإنها حج المساكين»^(٢).

صلاة الجمعة هي ذكرُ الله، ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نُودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع﴾^(٣).

وفي يوم الجمعة عطلة المسلمين، لكي تكون فرصة لهم ينصرفون فيها إلى النظافة والإستراحة، إلى جانب الرياضة والنشاط المعنوي والتربوي والسياسي.

إن مشهد صلاة الجمعة العظيم، يثير غيظ الأعداء، ويحطّم

(١) الوسائل : ج ٥ ص ٦

(٢) الوسائل : ج ٥ ص ٦

(٣) الجمعة : ٩

آمالهم في إضعاف المسلمين وتفريقهم، ويزرع اليأس والخوف في نفس الشيطان الذي يؤلمه كثيراً هذا المنظر المبارك، يقول الإمام الخميني (رضوان الله عليه): (أوصيكم بالاجتماع، وإقامة صلاة الجمعة بما يليق بها من العظمة والكرامة، وكذلك الصلوات اليومية، لأن الشيطان يخاف من الصلاة، ويخاف من المسجد)^(١).

صلاة الاستسقاء:

تقام صلاة الإستسقاء في ظروف خاصة أيام القحط وقلة المطر، وفيها يدعو الناس ربهم لإنزال المطر. ولا بأس هنا أن نقرأ ما كتبه الإمام الخميني (رضوان الله عليه) في (تحرير الوسيلة): (صلاة الاستسقاء، صلاة مستحبة، تقام في موسم قلة ماء الأنهر وانعدام المطر. وهذا الجفاف هو من نتائج كثرة الذنوب، ونكران النعمة، والاعتداء على حقوق الناس، والظلم، والغش، والمكر والخديعة، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنع الزكاة، والحكم بغير ما أنزل الله،

(١) صحيفة النور: ج ١٢ ص ١٤٩

وغير ذلك من الذنوب التي تُغضب الله^(١).

وتتكون صلاة الاستسقاء من ركعتين، وتُقرأ جماعة، في كل ركعة تقرأ سورة الحمد وسورة أخرى، وفي الركعة الأولى خمس تكبيرات، وفي الثانية أربع. وقنوت واحد بعد كل تكبير في كل ركعة، ومن الأفضل أن يُقرأ في القنوت دعاء بنزول المطر.

ومن آداب هذه الصلاة: الجهر بقراءة سورة الحمد والسورة الثانية، الصيام ثلاث أيام بحيث يكون يوم الإثنين أو الجمعة هو اليوم الثالث منها، ذهاب إمام الجماعة والمصلين إلى الصحراء في وقار وخشوع وتضرع في هيئة المحتاج المسكين، ويصطحبون معهم المؤذنين والمنبر والشيخ والأطفال والحيوانات، ثم يفصلون بين الأمهات وأطفالهم، فيكثر البكاء والصراخ، ليكون سبباً لنزول الرحمة.

وبعد إقامة الصلاة يقوم إمام الجماعة بتغيير موضع رداءه، فيجعل الجزء الأيمن محل الأيسر وبالعكس، ويكبرّ عالياً مئة مرة إلى جهة اليمين، ثم يسبّح مئة مرة باتجاه الشمال، ويشكر

(١) تحرير الوسيلة

الله ويحمده مئة مرة، والناس معه يشاركون في هذه الأذكار، ثم يدعوا، والناس يدعون، ويقولون: آمين. ويكثر من الشكوى والإستغاثة والتضرع إلى الله. ويفضل الإستفادة من الأدعية المنقولة عن الأئمة (ع)، كالدعاء التاسع عشر من الصحيفة السجادية، ودعاء الإمام علي (ع) في الاستسقاء.^(١)

ومن جملة صلاة الاستسقاء المعروفة، هي الصلاة التي أقامها المرحوم آية الله العظمى السيد محمد تقي الخوانساري في قم والتي حضرها جمع من الأجانب الإنكليز، حيث شاهدوا بأم أعينهم نزول المطر، وبأن عليهم التأثير الكبير لهذا المشهد العظيم.

إن إنكسار القلب وخشوعه وإخلاصه وإنابته وتوجهه إلى الله، سبب من أسباب رحمة الله بالناس، هذه الرحمة، التي لا تختص بخلق دون خلق، بل تشمل كل مخلوقات الله، فقد يتلطف الله بمطر الرحمة، رأفة منه بالحيوانات، فيعم الخير حال الجميع.

وهذا ما تؤيده القصة التالية الواردة في الحديث الشريف:

(١) مستدرک نهج البلاغة: ج ٦، ص ٢٦٨

«إن سليمان بن داود(ع) خرج ذات يوم مع أصحابه ليستسقي، فوجد نملة قد رفعت قائمة من قوائمها إلى السماء وهي تقول: اللهم إنا خلق من خلقك لا غنى بنا عن رزقك، فلا تهلكنا بذنوب بني آدم، فقال سليمان(ع) لأصحابه: ارجعوا، فقد سقيتم بغيركم»^(١).

هذه قصة، وإليكم قصة ثانية، في رواية عن الإمام الصادق(ع): «جاء أصحاب فرعون إلى فرعون، فقالوا له: غار ماء النيل، وفيه هلاكنا، فقال انصرفوا اليوم، فلما كان من الليل، توسّط النيل، ورفع يديه إلى السماء، وقال: اللهم إنك تعلم أنني أعلم أنه لا يقدر على أن يحيي بالماء إلا أنت، فجئنا به، فأصبح النيل يتدفّق»^(٢).

صلاة العيد:

صلاة العيدين: عيد الفطر، وعيد الأضحى من الصلوات المستحبة، وتتكون من ركعتين، وتسع تكبيرات، خمس في الركعة الأولى، وأربع في الثانية، وذلك قبل الركوع، وبعد كل

(١) من لا يحضره الفقيه: ج ١ ص ٥٢٤

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج ١ ص ٥٢٦

تكبير قنوت ودعاء. وتُقام صلاة عيد الفطر في أول يوم من شهر شوال، بعد صوم شهر رمضان، لتكون بمثابة شكر لله على توفيقه في أداء فريضة الصوم.

في رواية عن الإمام الباقر (ع)، وهو يحدث الصحابي جابر الأنصاري: «إذا كان أول يوم من شهر شوال، نادى مناد: أيها المؤمنون، أغدوا إلى جوائزكم، ثم قال: يا جابر، جوائز الله ليست بجوائز هؤلاء الملوك، ثم قال: هذا يوم الجوائز»^(١).

وعن عيد الفطر أيضاً يقول الإمام الرضا (ع): «إنما جعل يوم الفطر، العيد، ليكون للمسلمين مجتمعةً يجتمعون فيه، ويبرزون لله عزّ وجلّ، فيمجّدونه على ما منّ عليهم، فيكون يوم عيد، ويوم اجتماع، ويوم فطر، ويوم زكاة، ويوم رغبة ويوم تضرّع»^(٢).

وعن الإمام علي (ع) نقرأ «أيها الناس، إنّ يومكم هذا يوم يثاب فيه المحسنون، ويخسر فيه المسيئون، وهو أشبه بيوم قيامتكم، فاذكروا الله بخروجكم من منازلكم إلى مصّلاككم، خروجكم من الأجداث إلى ربّكم، وأذكروا بوقوفكم في

(١) الوسائل: ج ٥، ص ١٤٠

(٢) الوسائل: ج ٥، ص ١٤١

مُصَلَّاتِكُمْ وَقُوفَكُمْ بَيْنَ يَدَي رِبْكُمْ، وَاذْكُرُوا بَرْجُوعَكُمْ إِلَى
مَنَازِلِكُمْ رَجُوعَكُمْ إِلَى مَنَازِلِكُمْ فِي الْجَنَّةِ وَالنَّارِ»^(١).

إن حضور الإنسان في جمع المُصلِّين في يوم العيد، هو انضمام
إلى بحر كبير من المسلمين، في تضرُّع جماعي، ترتفع فيه
أصوات الدعاء، في حالة معنوية خاصة، وروح صميمية
أخوية في صف عبادي مُنظَّم، وقلوب خاشعة طائعة، قد أدَّت
فريضة عبادية في صوم شهر رمضان، أو في حج بيت الله،
ليردِّدوا في قنوتهم هذا الدَّعاء المبارك (اللَّهُمَّ أَهْلَ الْكِبَرِيَاءِ
وَالْعِظْمَةِ، وَأَهْلَ الْجُودِ وَالْجَبْرُوتِ، وَأَهْلَ الْعَفْوِ وَالرَّحْمَةِ،
وَأَهْلَ التَّقْوَى وَالْمَغْفِرَةِ، أَسْأَلُكَ بِحَقِّ هَذَا الْيَوْمِ، الَّذِي جَعَلْتَهُ
لِلْمُسْلِمِينَ عِيداً، وَلِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ذُخْراً وَشَرَفاً
وَكَرَامَةً وَمَزِيداً، أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَنْ تَدْخُلَنِي
فِي كُلِّ خَيْرٍ أَدْخَلْتَ فِيهِ مُحَمَّدًا وَآلَ مُحَمَّدٍ، وَأَنْ تَخْرِجَنِي مِنْ كُلِّ
سُوءٍ أَخْرَجْتَ مِنْهُ مُحَمَّدًا وَآلَ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتِكَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ،
اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا سَأَلْتُكَ بِهِ عِبَادُكَ الصَّالِحُونَ، وَأَعُوذُ
بِكَ مِمَّا اسْتَعَاذَ مِنْهُ عِبَادُكَ الْمُخْلِصُونَ).

(١) الوسائل: ج ٥ ص ١٤١

الصلوات المستحبة:

إن ميزان العبادة والطاعة من حيث الكم والكيف، هو انعكاس وظلّ لمستوى إيمان العبد وحُبّه لربّه. والصلوات المستحبة مصداق من مصاديق ذلك الإيمان والحبّ. وهذه الصلوات التي تسمى (النوافل) كثيرة، منها النوافل اليومية، وهي كالآتي:

نافلة صلاة الصّبح، ركعتان قبل صلاة الصّبح. نافلة صلاة الظهر، ثمانية ركعات قبل صلاة الظهر. نافلة صلاة العصر، ثمانية ركعات قبل صلاة العصر. نافلة صلاة المغرب، أربعة ركعات بعد صلاة المغرب. نافلة صلاة العشاء، ركعتان جالساً بعد صلاة العشاء. نافلة اللّيل (صلاة اللّيل، إحدى عشرة ركعة قبل أذان الصّبح ثمانية منها نافلة اللّيل، وركعتان شفع، وركعة واحدة صلاة الوتر).

النّافلة، مأخوذة من كلمة (نفل)، أي الزيادة والإضافة على الحد الواجب، جاء في الحديث الشريف: «إنّ صلاة اللّيل في آخره أفضل منها قبل ذلك، وهو وقت الإجابة، وهي هديّة المؤمن إلى ربّه»^(١).

(١) مستدرک الوسائل: ج ٦ ص ٣٢٨

إن الصلوات المستحبة بمنزلة جُبران لما في الصلوات الواجبة من نقص، مثلها في ذلك كمثل الصدقة، وخاصة صلاة اللّيل، التي هي من أسرار الحبّ والعلاقة التي يكنّها العبدُ لربّه، وهو ينهض من نومه وقت السّحر، تاركاً لذّة النوم، ليتّجه إلى الله تعالى، يدعوّه ويرجوّه، وهذا هو طبع وحال أولياء الله، الذين تراهم يُحيون اللّيل بالعبادة والطاعات المستحبة، عيونهم باكية، وقلوبهم خاشعة. وفي هذا تعبير عملي عن الشوق والحب، يقول الله تعالى: (كذب من زعم أنه يُحبّني، فإذا جنّه اللّيل نام عني، أليس كلّ مُحبٍّ مُحَبٍّ خلوة حبيبه)^(١).

وبواسطة النوافل يرقى الإنسان إلى مستويات معنوية رفيعة، بحيث لا يرى إلّا الحق، ولا يسمع إلّا الحق، ولا يدعو دُعاءً إلّا أُستجيب له^(٢).

وهناك في كتب الأحاديث الشريفة روايات كثيرة عن النوافل وفضيلتها لا يتسع المجال هنا ليرادها.

(١) مصباح الشريعة : ٢

(٢) ثواب الأعمال : ٨٨

صلاة الجماعة:

صلاة الجماعة عبادة توحيدية جماعية رائعة، تُعبر عن هبة المسلمين المُوَحِّدين. وفيها من الأجر - إذا بلغ عدد الحاضرين فيها أكثر من عشرة نفرات - ما لا يُعدّ ولا يُحصى، كما جاء في الحديث الشريف. فهذه الصلاة تحمل مضامين وأهداف دينية كثيرة، لأنها تذويب وصهر للفرد في بوتقة الجمع، حيث الروح الجماعية بدلاً من الروح الأنانية، وهي مظلة يجتمع تحتها الناس، فيعرف بعضهم بعضاً، ويطلع بعضهم على أحوال ومشاكل البعض، فتكون بذلك مقدمة لبناء مجتمع إسلامي أخوي مُوَحَّد منظم خال من الأحقاد والأصغان وسوء الظن. وهو اجتماع بشري ذو معطيات كثيرة ونفقات قليلة. ولأهميتها نرى وجود استحباب في أن يؤخر الإنسان صلاته بانتظار صلاة الجماعة، لأنها وإن تأخرت ففضلها وثوابها أكثر من الصلاة فرادى وإن كانت أول الوقت.

أما إمام الجماعة، فيجب أن يكون إنساناً عادلاً تقيّاً لائقاً وهي معايير إسلامية مُهمّة في حياة الأمة، وفي حياة الفرد. وعن أهمية صلاة الجماعة نقرأ هاتين الرواتين: «لا يزال

أحدكم في صلاة ما دام في مُصَلَّاه ينتظر الصلاة»^(١).

« وأما الجماعة، فإن صفوف أمتي كصفوف الملائكة في السماء الرابعة، والركعة في الجماعة أربع وعشرون ركعة، كل ركعة أحب إلى الله من عبادة أربعين سنة»^(٢).

(إن جبرئيل (ع) هبط على النبي (ص) وقال: يا محمد، من أحب الجماعة، أحبه الله، والملائكة أجمعون)^(٣).

عدالة إمام الجماعة

من شروط إمام الجماعة، أنه أفضل الموجودين، مَنْ يُطمئن لدينهم والتزامهم، وتقواهم وعدالتهم، لأن صلاة الجماعة مجمع إسلامي، يقوده إمام، والقائد يجب أن يكون أجدر من المقود والتابع.

جاء في الحديث: «فقدّموا أفضلكم»^(٤) وفي حديث عن الامام الصادق (ع): «ليؤذن لكم أفصحكم، وليؤمكم أفقهكم»^(٥).

(١) كنز العمال: ج ٨ حديث ١٢٢٨١٨

(٢) مستدرک الوسائل: ج ١ ص ٤٨٨

(٣) مستدرک الوسائل: ج ٦ ص ٤٤٥

(٤) من لا يحضره الفقيه: ج ١ ص ٣٧٧

(٥) مستدرک الوسائل: ص ٦ ص ٤٧٢

وإذ تكون العدالة والتقوى من مواصفات إمام الجماعة،
يكون دور هذه الصلاة وأثرها في تقوية روح العدالة والتقوى
عند المُصلِّين، أمراً واضحاً جلياً، مثلما يتوضَّح كذلك أهمية
معيار التقوى والعدالة في تنصيب المُدراء والمسؤولين.

إن مفهوم العدالة من المفاهيم الإسلامية الرفيعة التي
حظيت باهتمام الكتّاب والمفكرين، حيث قيل فيها وكُتِبَ عنها
الشيء الكثير، من ذلك ما قاله الإمام الخميني (رحمة الله عليه)
في تحرير الوسيلة : (العدالة هي حالة قلبية في الانسان، ومملكة
باطنية، تمنعه من ارتكاب الذنوب الكبيرة، أو من تكرار
الذنوب الصغيرة، والاصرار عليها).

وسئل الامام الصادق (ع) عن صفة العدل من الرَّجل،
فقال: «إذا غَضَّ طرفه عن المحارم، ولسانه عن المآثم، وكفَّه
عن المظالم»^(١).

وعن الرسول الأكرم (ص) : «من عامل النَّاس فلم
يظلمهم، وحدثهم فلم يكذبهم، ووعدهم فلم يخلفهم، فهو
مَنْ كَمُلَتْ مَرْوَتُهُ، وظهرت عدالته»^(٢).

(١) بحار الانوار : ج ٧٨ ص ٢٤٨

(٢) ميزان الحكمة : ج ٧ : ٣٣٩

هذا المقدار يكفي لبيان أهمية صلاة الجماعة، وعدالة الإمام.

فيا إخواننا، هلمّوا إلى صلاة الجماعة، وإلى المساجد، فهي خندق حصين، نكون فيه صفّاً مُتراصاً وقلباً واحداً لمقاتلة العدو الذي يتربصّ بالمسلمين الدوائر، ولا يفوتنا ما في هذه العبادات من ثواب وبركات.

اللهم إنّنا نُقسمُ عليك بحقّك، أن ترزقنا الثبات في العبادة والطاعة، وأن تُنورَ قلوبنا بحبكّ، والشوق لعبادتك، اللهم اجعل أعمارنا، وأفكارنا، وطاقاتنا وقوانا البدنية والروحية خالصة في طاعتك، ربّنا اجعلنا مقيمي الصلاة، إنك سميع مجيب.

نسألك الدعاء

فهرس الموضوعات

٣ الصلاة عبادة عظيمة
٣ لماذا نعبد الله؟
٤ علل ودوافع العبادة
٧ كيف نعبد الله
١١ شروط التكليف
١٦ العبادة في الميزان
١٦ شروط صحة العبادات
١٨ شروط قبول العبادات
٢٤ علامة قبول الصلاة
٢٥ شروط كمال العبادة
٢٩ معالم الصلاة في مرآة الوحي
٣٣ الصلاة شكر النعمة
٣٦ آداب الصلّاة
٣٧ مقدمات الصلاة
٣٧ الطهارة
٣٨ اللباس
٣٨ المكان
٣٩ القبلة
٤٠ الأذان
٤٣ النية مظهر للإخلاص
٤٣ ماهي النية

٤٥	الإخلاص
٤٧	طريق تحصيل الإخلاص
٤٩	علامات الإخلاص
٥٤	في محراب الصلاة
٥٤	تكبيرة الإحرام
٥٦	سورة الحمد
٦٥	سورة التوحيد
٦٧	الركوع
٦٨	السجود
٧٠	سبحان الله
٧٢	القنوت
٧٣	التشهد
٧٤	السلام
٧٦	التعقيبات
٧٧	تسبيح الزهراء (ع)
٧٩	سجدة الشكر
٨٠	صلاة الجمعة
٨٢	صلاة الاستسقاء
٨٥	صلاة العيد
٨٨	الصلوات المستحبة
٩٠	صلاة الجماعة
٩١	عدالة الإمام
٩٤	فهرس الكتاب

الطبعة الاولى
١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م